



العنوان:

**السوق الأسبوعي في منطقة زواوة وأبعاده الإجتماعية خلال
العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي " 1881-1518 "**

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبین:

مصطفى سعداوي

• حبيبة سعدي

• حفصة عمراني

لجنة المناقشة :

مصطفى سعداوي مشرفا.

ياسين بودريعة رئيسا.

زين الدين قاسيمي مناقشا.

السنة الجامعية: 2017-2016

شكر وعرفان

قال الله تعالى "لَئِن شَكْرَتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ".

سورة إبراهيم الآية (07)

فالشكر الأول والأخير لله عزوجل الذي نحمده ونشكره على توفيقنا في اتمام هذه الدراسة، وامدادنا بالإرادة والصبر رغم الظروف والعراقيل.

قال خير الخلق عليه الصلاة والسلام "من لا يشكر الناس لم يشكر الله" نتقدم بالشكر والتقدير، للأستاذ مصطفى سعداوي، على اشرافه على هذا العمل ومساعدته، وتشجيعه لنا وامدادنا بمختلف النصائح والتوجيهات.

الإهداء

إلى والدي الكريمين أهدي هذا العمل، وإلى كل عائلتي الغالية خاصة اختي نورية.

وإلى زوجي جمال.

ورفيقة حياتي حفصة.

حبيبة

الإهاداء

إلى والدي الكريمين، وإلى كل عائلتي الغالية، خاصة أخي فاتح الذي ساعدني كثيراً وأختي وهيبة.
وكل من ساعدني ووقف بجانبي، خاصة صديقاتي حكيمة وحياة ولليلة، أهدي ثمرة
جهدي.

حصة

باللغة العربية:

ص : صفحة.

م : ميلادي.

ط : طبعة.

ج : الجزء.

مج : مجلد.

د.غ.إ : دار الغرب الاسلامي.

د.م.ج : ديوان المطبوعات الجامعية.

د.ت : دون تاريخ.

ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

م.و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب.

ط.خ.و.م : طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.

باللغة الأجنبية:

P : page.

Ed. : Edition.

Op.Cit : Ouvrage précédent cité.

N : Numéro.

C.A.O.M : Centre des Archive d'outre Mer.

مقدمة

تميزت منطقة زواوة عن باقي المناطق بمجتمعها القروي الذي يسير نفسه بنفسه، معتمداً في ذلك على مجموعة من التنظيمات الاجتماعية وعلى رأسها نظام الجماعة، وهذا نظراً للخصوصيات التي انفرد بها هذا المجتمع، والتي كانت وليدة الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية. ومن بين الجوانب التي تمكن سكان المنطقة من تسييرها وفقاً لتنظيماتهم الخاصة وقوانينهم العرفية، نجد "مؤسسة السوق" التي حظيت بجزء كبير من اهتمام المجتمع الزواوي، ما جعل أهميتها تتضاعف أكثر إبان الفترة العثمانية، لكون الحكم العثماني للمنطقة كان باهتاً، لا يستجيب لاهتمامات المنطقة.

ولعل من أهم ما يميز السوق في بلاد زواوة هو كونه عتبة لقاح بين جانبي هامين من جوانب حياة هذه المنطقة: الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي. ما يعني أن دراسته تسمح بسر أغار هذا المجتمع المحلي والتعرف على بنائه العميق. ومما يزيد من أهمية هكذا موضوع ندرة الدراسات الأكademie بخصوصه، وهو ما حدا بالأستاذ المشرف إلى تشجيعنا على طرق أبوابه.

وأثناء قراءاتنا الأولية، استرعت انتباها تلك المفارقة المميزة للسوق في بلاد زواوة، فهو على الرغم من كونه فضاء اقتصادي بامتياز، إلا أن أدواره الاجتماعية وأبعاده السوسيولوجية ودلالاته الانثروبولوجية حاضرة بقوة. ما جعلنا إزاء إشكالية ملحة مفادها: ما هي الحدود الفعلية بين الدورين الاقتصادي والاجتماعي للسوق الزواوي؟ وما هي طبيعة العلاقات القائمة بينهما؟ وما هي خلفيات وتداعيات هذه العلاقات؟

ولحل هذه الإشكالية، كان لابد من إلقاء الضوء على منطقة زواوة من عدة نواحي خاصة الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، ولا يتحقق ذلك إلا بعد الإجابة على بعض الأسئلة الفرعية التي عالجناها في كل فصل وهي كالتالي:

- ما هي الخصوصيات التي انفرد بها السوق في بلاد زواوة ؟

- ما هو الواقع الاقتصادي للسوق الأسبوعي في المنطقة ؟
- كيف كانت وضعيته من الناحية الاجتماعية ؟ وهل شكل فاعلية داخل القرى الزواوية كمؤسسة اجتماعية؟ أم انه كان فارغا من الفاعلية ؟
- وللإجابة على هذه الإستفهامات، سعينا - قدر المستطاع- الى استقاء المادة العلمية من مظانها الأصلية، فكان أبرزها:
- المخطوطات: مخطوط "كيفية سيرة الزواوة" لمؤلف مجهول، الذي قدم لنا معلومات قيمة عن الجانب الاجتماعي بمختلف نواحيه، خاصة المتعلقة بالعادات والتقاليد المرفقة لنشاطات السوق، إضافة إلى بعض القوانين الخاصة بالسوق والتي أدرجتها القبائل ضمن قوانينها.
- الأرشيف: أرشيف ما وراء البحار (إكس - أون - بروفانس).

- Monographi de l'arrondissement de Tizi-ouzou, octobre 1953.
In C.A.O.M. 915-88.

- المصادر المطبوعة:

كتاب منطقة القبائل والأعراف القبائلية لمؤلفه أ.هانوتو وأ.لوتورنو، وهو من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في إبراز أهم جوانب موضوعنا، خاصة وانه تحدث بإسهاب عن عادات وتقاليد وخصوصيات المجتمع والمؤسسات الفاعلة فيه، من بينها السوق الذي تناوله في أجزائه الثلاثة مبرزا تنظيماته وأدواره وأهميته الاقتصادية والاجتماعية.

- كتاب النقيب إميل كارييت حول منطقة زواوة من 1840 - 1842، وهو بعنوان: exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1840, 1842 « études sur la kabylie »

و يحتوي هذا المؤلف على معلومات قيمة تخص المنطقة، فقد تعرض فيه إلى لغة المجتمع الزواوي وتركيبته الاجتماعية وإحصائيات سكانه، كما قدم معطيات اقتصادية من بينها الأسواق وتوزيعها الجغرافي.

وبالطبع اهتمام الدراسات الكولونيالية بالجوانب التاريخية والاجتماعية للمنطقة لم يكن وليد الصدفة، أو حبا بدراسة ثقافة وتاريخ هذا الشعب، وإنما كان لتحقيق أهداف خفية أرادت من خلالها الإدارة الاستعمارية احتواء المنطقة والسيطرة عليها، فتعرضت إلى مختلف التنظيمات التقليدية التي تسيّر المجتمع المحلي، والتي غالباً ما كانت تتعارض مع سياساتها محاولة بذلك فهم وتحليل العلاقات الاجتماعية للمجتمع، لإعادة تكييفها مع ما يتوافق مصالحها الخاصة.

كما اعتمدنا في بحثنا على عدد معتبر من المراجع باللغتين العربية والفرنسية، نذكر منها:

أ - **باللغة العربية:** أحمد ساحي "الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو"، سعدي مزيان "السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل و موقف السكان منها"، محمد الصغير فرج "تاريخ تizi وزو".

ب - **باللغة الفرنسية:** ألان ماهي " تاريخ منطقة القبائل"، مارتييل ريموند " في قلب بلاد القبائل".

أما فيما يخص الدراسات السابقة التي ساعدتنا للمضي في دراستنا من خلال إرشادنا إلى المصادر الأولية، منها:

- أطروحة دكتوراه لمحمد أرزقي فراد تحت عنوان "المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749 - 1949)".

- أطروحة دكتوراه رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدي في منطقة القبائل.

- أطروحة دكتوراه لأرزيقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830).

واعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي، وذلك لوصف التطورات التاريخية التي مررت بها الأسواق، وكذا على المنهج التحليلي بهدف إبراز البعد الاجتماعي للدراسة التي قمنا بها. محاولين بذلك وصف وتحليل وظائف الأسواق من خلال دراسة أبعادها المتعددة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

ورتبنا هذا البحث في فصل تمهيدي وثلاث فصول، وذلك كالتالي:
الفصل التمهيدي بعنوان "لمحة عامة عن منطقة" زواوة ويندرج تحته مبحثان: الأول
بعنوان الواقع الجغرافي، والثاني الواقع البشري والاجتماعي.

وبضم الفصل الأول الموسوم بـ "إنشاء الأسواق وتنظيمها" مبحثين: الأول بعنوان إنشاء السوق، وأهم ما تناولنا فيه تسمية السوق واختيار موقعه، أما المبحث الثاني كان بعنوان تنظيم السوق، تحدثنا فيه عن أقسامه وتنظيماته وقوانينه.

أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان "الدور الاقتصادي للأسوق"، وشمل مبحثين:
المبحث الأول حول الأنشطة الاقتصادية للسوق، وعالجنا فيه أهم المنتجات المسوقة، وكذلك الوظائف التي أتاحتها لفرد الزواوي، أما المبحث الثاني الموسوم بـ الضبط الاقتصادي، وقد حاولنا في طياته إعطاء لمحة عن الأوزان والأسعار وأهم البيوع المعمول بها في هذه الأسواق.

وسعينا في الفصل الثالث المعنون بـ "الدور الاجتماعي للسوق" إلى إبراز الأهمية الاجتماعية للأسوق، وذلك من خلال تسلیط الضوء على أهم المظاهر والأبعاد الاجتماعية التي ارتبطت به. وانطوى هذا الفصل على مبحثين: الأول بعنوان الفضاءات الاجتماعية للسوق، والمبحث الثاني جاء بعنوان الأبعاد الأنثروبولوجية للسوق.

وفي الأخير، ذيلنا هذا العمل بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي خلصنا إليها.

وكأي دراسة علمية أكademie، اعترض سبيل هذا البحث العديد من الصعوبات، منها أن لغة المادة العلمية كانت في الغالب باللغة الفرنسية، ما تطلب وقتاً كبيراً لترجمتها، كما أنها تشير إلى موضوع السوق بشكل خفيف دون التفصيل فيه إلا القليل منها، ومعظمها غير موجود في المكتبات مما دفعنا إلى الاعتماد على المكتبات الإلكترونية. أما المراجع، فإن جلها لم تكن سوى تكرار لما ورد في المصادر المذكورة أعلاه، بالأخص مؤلفات "هانوتو" و"كاريت".

الفصل التمهيدي:

لمحة عامة عن بلاد زواوة

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية والبشرية.

تلعب جغرافية المكان دورا هاما في جوانب حياة الإنسان، وذلك لما تطرحه من تأثيرات على المجتمعات سواء على الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي والثقافي. وعلى هذا الأساس كان من الضروري دراسة المؤثرات الجغرافية لمنطقة زواوة، لمعرفة وتحديد الخصائص البشرية ونشاط الإنسان الزواوي.

تقع بلاد زواوة في الوسط الشمالي الشرقي من الجزائر، تمتد من "وادي يسر" غربا إلى "وادي أغريون" و"جبل البابور" شرقا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى سلسلة "جبال البيبان" و"هضاب سطيف" و"سهول مجانية" جنوبا⁽¹⁾. تحتل زواوة مساحة واسعة من منطقة شرق مدينة "الجزائر" تبلغ مساحتها حوالي (150000 كم²)، وهي تمتد من الغرب إلى الشرق على مسافة قدرها (150 كم²)، وعمقها من الشمال إلى الجنوب يتراوح ما بين (70 إلى 100 كم²)⁽²⁾، فهي تشكل حاليا إجمالية أراضي ولايتي "بجاية" و"تizi وزو" وأجزاء من أراضي ولاية "سطيف" و"برج بوعريريج"، "البويرة" و"بومرداس"⁽³⁾.

⁽¹⁾ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، د.غ.إ، 1995م، ص 20 .

⁽²⁾ - E.Daumas et M.Fabar, La grande Kabylie "étude historique", Ed librairies de l'université royal, Paris, 1847, p3.

⁽³⁾ - محمد أرزقي فراد، إطلاعات على منطقة القبائل، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص 11 .

حسب "ابن خلدون" بلاد زواوة محددة جغرافيا من "بجاية" إلى "تسلس"⁽¹⁾، أما حسب "أبو يعلى الزواوي" فإن زواوة قبائل كثيرة تسكن "شمال إفريقيا" تمتد على طول البحر الأبيض المتوسط من خليج مدينة "بجاية" إحدى عواصمهم إلى "جيجل" نصف دائرة⁽²⁾.

أما من الناحية التضاريسية يغلب على هذه المنطقة الطابع الجبلي المكون من أربعة سلاسل جبلية أساسية هي:

السلسة الوسطى:

تشمل سلسلة جرجة التي هي بمثابة جدار جبلي يمتد من الغرب إلى الشرق⁽³⁾. تمتد من "سهول متيبة" إلى "وادي الصومام" شرقاً، ومن البحر شمالاً إلى "صور الغزلان" جنوباً⁽⁴⁾. وأطلق الرومان عليها تسمية "Monts ferrates" أي "جبل الحديد"، إشارة إلى المقاومة التي كان يلقونها في كل مرة يحاولون فيها اقتحام هذه المنطقة⁽⁵⁾. وتمتد "جبال جرجة" على طول (60 كلم²)، وتنقسم إلى قسمين متبابعين تفصل بينهما "قمة لالة خديجة" (2308م). بها عدة قمم أهمها "قمة إزرفونن" (2209 م) و"قمة حيزر" (2066 م)⁽⁶⁾.

⁽¹⁾- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتمى بطبعه أبو صهيب الكرامي، ج 6، الأردن، د.ت.ن، ص 98.

⁽²⁾- أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90.

⁽³⁾- أ.هانوتو وأ.لوتونزو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ترجمة مخلوف عبد الحميد، ج 1، دار الأمل، الجزائر، 2013، ص 27.

⁽⁴⁾- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 20.

⁽⁵⁾- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي "ثورة بوبغالة"، دار الأمل، الجزائر، 2000، ص 09.

⁽⁶⁾- مزيان سعیدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموافق السكان منها (1871م، 1914م)، ج 1، دار سيدى الخير، الجزائر، د.ت، ص ص 36 - 37 .

السلسلة الشرقية:

هي عبارة عن مجموعة من الكتل الجبلية الممتدة بين "تizi وزو" و"بجاية"، تتشكل من "مرتفعات أكفادو" التي تشكل حاجزا طبيعيا بين قبائل جرجرة والبابور يعيق التوغل نحو الجنوب، إلا عبر الممرات التي تشكلت بفعل الانكسارات والعوامل الطبيعية، أهمها: "مصر أكفادو" (1385م)، "أزرو نتاراف" (1542م) و"بوهيني" (1014م)، ويمر عبر هذه السلسلة الطريق الرابط بين "تizi وزو" و"بجاية"⁽¹⁾.

السلسلة الساحلية:

تمتد من الغرب إلى الشرق، تبعد عن الساحل في خط متوازن (7-9 كم) وارتفاعها بين (900م و1200م)، تنتهي جنوب "دلس"، أبرز قممها "قمة تامغوت" (1278م) بـ"آث جناد"، و"قمة قيرينو" (1147 م)⁽²⁾.

السلسلة الغربية:

تمتد من هضاب يسر إلى المرتفعات التي تحد الجهة الشرقية "سهول متيبة"، تتميز بوجود ممر رئيسي وهو ممر بنى عيشة "الشيبة"، وهي عبارة عن سلسلة جبلية طويلة⁽³⁾، وهذه السلسلة الطويلة تمتاز بارتفاعات عالية، مما يضفي طابعا جماليًا على طرقها وممراتها الضيقة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - مزيان سعدي، المرجع السابق، ص 39.

⁽²⁾ - أ.هانوتوكا. لوتومنو، المصدر السابق، ص 36.

⁽³⁾ - مزيان سعدي، المرجع السابق، ص ص 39 - 40 .

⁽⁴⁾ - أ.هانوتوكا. لوتومنو، المصدر السابق، ص 39.

كما تشمل منطقة زواوة على ثلاثة أودية رئيسية تشكل القلب النابض للشبكة الهيدرографية فيها، تتمثل في "واد الصومام"، وهو ينبع من "جبل ديرة" ويشتند انحداره عند مدينة "البويرة"، ثم يزيد حتى مصبها في "خليج بجاية" طوله (210 كلم)⁽¹⁾، "واد يسر" ينبع من "الجبل الأخضر" شرق "بخاري" على طول (200 كلم)⁽²⁾، من روافده "وادي جمعة" الذي يحيط بمرتفعات "الأخضريّة"، وأخيراً "واد سيباو" ينبع من "جبال جرجرة" شرقاً على طول (120 كلم) وهو يصب عند شاطئ قرب "دلس"، له رافدان اثنان من جرجرة "واد عيسى" و "واد بوق دورة"⁽³⁾.

أما بالنسبة للسهول فان منطقة زواوة لا تتوفر على مساحات واسعة نظراً لطغيان الجبال على تضاريسها، وأهم هذه السهول تلك الواقعة في "واد سيباو"، اضافة الى السهول الساحلية الموجودة بين "يسر" ومدينة "دلس"، وقرب بجاية خصوصاً عند مصب "واد الصومام"⁽⁴⁾.

ومن الناحية المناخية تشمل بلاد زواوة على عدة نطاقات مناخية، حيث يتسم الساحل البحري من المنطقة بمناخه المتوسطي المعتدل شتاءً، ويبلغ متوسط الحرارة صيفاً ما بين 30° و 35° بسبب عامل الرياح البحرية⁽⁵⁾، أما في المرتفعات يتسم المناخ بالقساوة نظراً لتساقط الثلوج بكميات معتمرة⁽⁶⁾. وقد ساعد موقع المنطقة المتوسطي وطبيعتها الجبلية على

⁽¹⁾- مزيان سعدي، المرجع السابق، ص 43.

⁽²⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ص 43.

⁽³⁾- مزيان سعدي، المرجع السابق، ص ص 42 - 43.

⁽⁴⁾- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 13.

⁽⁵⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ص 29.

⁽⁶⁾- Alain Mahé, Histoire de la grande Kabylie XIX-XX Siècle, anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, Ed Bouchene 2000, p 23.

لمحة عامة عن بلاد زواوة

ارتفاع نسبة التساقط، ليبلغ سنوياً ما بين (600 ملم و 100 ملم) من الأمطار، بالإضافة إلى كميات معتبرة من الثلوج، وهو عامل جد مهم ساهم في انتشار الأودية والينابيع المائية الطبيعية⁽¹⁾، التي شجعت السكان على الاستقرار بهذه المناطق الجبلية الوعرة والاهتمام بالفلاحة⁽²⁾.

ساهم هذا التنوع المناخي والتضاريسى في تنوع الغطاء النباتي بالمنطقة، فنجد انتشار أشجار البلوط والصنوبر والفلين والأرز وغيرها، ونجد في الجهة الجنوبية من المنطقة أشجار الدفلة والصبار⁽³⁾، إضافة إلى توفر المراعي التي استغلها سكانها في ممارسة تربية الحيوانات والزراعة⁽⁴⁾.

أما الكثافة السكانية، فإن منطقة زواوة تعتبر من أشد بلاد "الجزائر" كثافةً، رغم وعورة مسالكها وطبيعة العيش فيها، فقد قدر أحد الرحالة الإنجليز سكان هذه المنطقة سنة 1854م بـ 800 ألف ان⁽⁵⁾. وتعود هذه الكثافة إلى عدة عوامل منها: تمسك سكانها بأرضهم، فقد ذكر القنصل الأميركي "وليام شالر" في مذكراته بأن سكان الزواوة يفضلون السكن في قمم الجبال، حيث يعيشون في قرى تتشكل من مباني عبارة عن أكواخ من الطين⁽⁶⁾.

⁽¹⁾- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر "دراسة طبيعية وبشرية واقتصادية"، مطبعة الشركة الوطنية، الجزائر، 1968م، ص 81.

⁽²⁾- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 21.

⁽³⁾- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 81.

⁽⁴⁾- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 20.

⁽⁵⁾- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر "الجزائر - تونس - المغرب الأقصى"، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص 125.

⁽⁶⁾- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تعریب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص 14.

وفيما يخص أصل نسب زواوة ذكر "ابن خلدون" أنهم: "...من بطون كتامة ومواطئهم بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة ... وجبلهم ما بين بجاية وتندلس، وهو أعظم معاقلهم وأمنع حصونهم" ومن أشهر قبائلهم "بنو بحر، بنو مانكلات، وبنو بترون، وبنو ماني، وبنو غردان، وبنو يتورع، وبنو يوسف، وبنو عيسى، وبنو بوشعيب، وبنو صدقة، وبنو غبرين، استوطنوا جبلا شاهقة وعرة، مثل آث غبري، وأاث فراوسن وأاث يراشن، ⁽¹⁾.

ويُنسب سكان زواوة إلى العنصر الأمازيغي الذي يصعب تحديد أصوله لاختلاف العيد من المؤرخين حول ذلك، منهم من زعم أنهم من ولد "كعنان بن حام بن نوح عليه السلام" ومنهم من رأى أنهم من ولد "برير بن قيس بن عيلان بن حام"، وقال آخرون أنهم من ولد "لخم" و"جذام"⁽²⁾، والبعض الآخر يرى أن أصولهم أوروبية.

أما أصل تسمية زواوة، فقد أرجعها "حسين بن شيخ" إلى تحريف كلمة "Igawawen" من طرف "ابن خلدون" الذي كان حسبه لا يحسن نطق حرف (g) كما أنه لا يوجد له مقابل في اللغة العربية، فحرّف الحرف إلى الزاء فصار "زواوة"⁽³⁾. والتي تنسب حسب ما ذكره "بن حزم" إلى ابن الجد الأول لزواوة، وهو "زواو بن سمجان بن يحيى بن تمزيت بن ضريس"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1618.

⁽²⁾ - أبو عبيد عبد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، م 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 250.

⁽³⁾ - حسين بن شيخ آث ملويا، القانون العرفي الامازيغي ، دار الخلدونية، الجزائر ، 2006، ص 50.

⁽⁴⁾ - أبي محمد علي بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 496.

لمحة عامة عن بلاد زواوة

وتسمية "القبائل" فيرجح أنها كلمة مأخوذة من القبيلة وجمعها القبائل⁽¹⁾، ومن المرجح أن يكون الأتراك العثمانيين وراء ترويج هذه التسمية، فقد استعملها القنصل الأمريكي "وليام شالر" (1817-1824م) في الجزائر عند الحديث عن هذه المنطقة وهذا ما نجده في مذكراته، ثم استعملها الفرنسيون أثناء الاحتلال. إلا أن بعض الباحثين الفرنسيين ينفون وجود علاقة بين التسمية واللغة العربية⁽²⁾.

أما كلمة "البرير" في الحقيقة ما هي إلا لقب استعمله اليونانيون ثم الرومان فيما بعد، على كل من لا ينتمي إلى جنسهم، ولم يطلقها اليونانيون على أمازيغ شمال إفريقيا فقط⁽³⁾، إلا أن هناك بعض المؤرخين اعتمدوا على هذه التسمية في كتاباتهم عن المنطقة مثل "أحمد توفيق المدنى".

رغم تعدد التسميات التي تطلق على المنطقة، إلا أن الذاكرة الشعبية لسكان القبائل لازالت تحفظ بكلمة "زواوة"، وهذا ما يظهر من خلال أشعارهم. كما نجد المصادر العربية تذكر علماء المنطقة بالإضافة تسمية "الزواوي" إلى أسمائهم أمثال أشهر علماء الإصلاح "محمد السعيد أبو يعلى الزواوي"⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: الخصائص الاجتماعية والاقتصادية.

تخضع كل المجتمعات العالم إلى مجموعة من التنظيمات الاجتماعية، ساهمت في تنظيم وإحلال التعاون بين أفرادها من أجل البقاء والاستمرار. ومن بين هذه المجتمعات التي لها نظامها الاجتماعي الخاص، نجد المجتمع الزواوي.

⁽¹⁾- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار بيروت، لبنان، د.ت، ص 541.

⁽²⁾- Jules Liorel, La Race Berbère "kabylie du jurjura", préface de Emile Masqueray, Ed Ernest Leroux, Paris, 1892, p 1.

⁽³⁾- أ.هانوتو وأ.لوتنورنو، المصدر السابق، ص 519.

⁽⁴⁾- محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص ص 12 - 13.

يتشكل النظام الاجتماعي⁽¹⁾ لزواوة من الوحدة الاجتماعية "شاوشولت" أي "العائلة"، وهي تتكون من عدة ديار، يحمل أفرادها نفس اللقب العائلي، وينسبون إلى جد واحد، وهي تعتبر أصغر وحدة في المجتمع الزواوي⁽²⁾. وتشكل مجموع العائلات التي من أصل واحد ما يسمى "خرويث" أي خروبة، وهي وحدة عائلية النسبة تخضع لسلطة الكبير في العائلة الذي له حق الإشراف على كل أمور الخروبة، مثل حفظ النظام، وغض المشاكل العائلية، وهو الذي يقوم بإكرام الزائرين والضيوف باسم الخروبة⁽³⁾، وإتحاد مجموع خروبة يشكل "أنروم" تربط بينهم روابط اتحادية وصلة التقارب⁽⁴⁾.

أما الوحدة الاجتماعية الأخرى التي يتكون منها المجتمع الزواوي، "ثارث" أي القرية. وتضم مجموعة من عائلات تختلف في النسب واللقب، تعيش في رقعة جغرافية واحدة، وتعتبر القرية حجر الزاوية لهذا المجتمع، إذ أنها تتمتع ببنية استقلالية لها فوانيتها الخاصة.

إتحاد مجموع القرى يشكل "العرش" وهي وحدة اجتماعية يجمع بينها النسب أحياناً، وتجتمع حول الجد الأكبر لذا نجد أن أغلبها إن لم يكن جلّها يبدأ باسم "آث" أي "أهل" فنجد: "آث بلقاسم"، "آث مقران" وغيرها، وداخل نظام العرش نجد نظام الصفوف وهو بمثابة حزب سياسي داخلي يجمع عدة قبائل⁽⁵⁾. ويعقد العرش اجتماعات كلما اقتضت الضرورة إلى ذلك، كإعلان الحرب أو السلم مع عرش آخر، أو إنشاء مشاريع ذات منفعة عامة كالأسواق

⁽¹⁾ - انظر الملحق رقم 01، ص 102.

⁽²⁾ - عبد الباهي بوزيت، عرش آث وغليس "قبيلة أسطورية"، الجزائر، 2013، ص 109.

⁽³⁾ - أحمد توفيق المدنى، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 2012، ص 107.

⁽⁴⁾ - شابحة بداع، نماذج من الثقافة الفلكلورية للمجتمع الأمازيغي، دار الامل، الجزائر، 2012، ص 36.

⁽⁵⁾ - أحمد توفيق المدنى، المرجع السابق، ص 108.

والزوايا والمساجد⁽¹⁾. وإتحاد مجموعة قبائل فيما بينها بروابط إتحاديّه تكون ما يسمى "ثاقبليّث" أي "فِيرالِيَّة" يرأسها أمين الأمانة⁽²⁾.

ويتخذ سكان زواوة من الجبال الوعرة حصوناً تحميهم من كل هجوم، ويعيشون بطريقة بسيطة جداً، ويرتدون ملابس غاية في البساطة ولا يعرفون أي نوع من أنواع الترف، ولا أي امتياز من الامتيازات الاجتماعية الأخرى⁽³⁾، يسكنون بيوت مبنية بالحجر ومسقفة بالقرميد، متقاربة للتأزر والتعاون فيما بينهم، في قرى متذكرة شكل التلة التي شيدت فوقها، والبيوت مرتبة بينها مسالك للعبور⁽⁴⁾.

ومن أخلاقهم أن الفرد الزواوي فلاح مقيم، تاجر حاذق وحريبي عاشق للحرية يكره من يترأسه، متمسك بأصله وشرفه وعشيرته⁽⁵⁾، يمتاز بالقناعة فهو يكتفي بالقليل، فحياته كلها جهاد مستمر، كما أنه يمتاز بعدم الصبر على الأذى، فإن أُعتدي عليه أو على شرفه جعل همه الوحيد الثار، يحترم رجال العلم وكبار القبيلة، متعلق بأرضه محافظ على نقالبه وأعرافه⁽⁶⁾.

أما اقتصادياً يرتكز المجتمع الزواوي على نظام الاقتصاد المعاشي، الذي يستند إلى مجموعة من العناصر الأساسية هي: الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة التقليدية والتجارة.

⁽¹⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749 - 1949)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011، ص 100.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 1، ص ص 422 - 423.

⁽³⁾ - حمدان بن عثمان خوجة، المراة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 2005، ص 15.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص 28.

⁽⁵⁾ - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.ن، ص 95.

⁽⁶⁾ - أحمد توفيق المدنى، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

وقد أدت تضاريس المنطقة الصعبة والمتميزة -عموما- بالطبع الجبلي، إلى ترك أثار واضحة على النشاط الاقتصادي، فاختصوا بالنشاط الفلاحي الذي يعد من أهم الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة منذ القدم⁽¹⁾.

فاشتهرت المنطقة باستغلالها المكثف لأراضيها نظرا لقلة المساحة الصالحة للزراعة، فانتشرت زراعة الخضر والفواكه والأشجار المثمرة، وهو ما أشار إليه "الورثاني" في رحلته بقوله: "...بلدنا القبائل الشرقية كثيرة الشجر من زيتون وتين، كثيرة الفواكه إلا النخيل..."⁽²⁾، أما الحبوب فكان يزرع البعض منها للاستهلاك الشخصي مثل الشعير والحمص والذرة.

كما كانت تربية الحيوانات شائعة في كل مناطق زواوة، فكل أسرة زواوية تملك عددا من الأغنام والأبقار والماعز والحمير والدواجن، ولكن بعدد محدود، وتعتبر هذه الحيوانات مكملة لإنتاجها الزراعي والحرفي⁽³⁾.

عرفت المنطقة ازدهارا كبيرا في الصناعة نتيجة لتوفر المواد الأولية وتنوعها، فكانت كل قبيلة تنتج تقريرا حاجياتها الضرورية، والفائض منها تقوم بتسويقه في الأسواق، خاصة الصناعة النسيجية والجلدية والخبيثة والفارغية، التي كانت المرأة تساهم بجزء كبير في

⁽¹⁾- C.Bontems, Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance, Ed Cuja, Paris, 1976, p 54.

⁽²⁾- الحسين بن محمد الورثاني، نזהة الأنظار في فضل علم التاريخ والأثار، تقديم محمد بن شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1908، ص 81.

⁽³⁾- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519 - 1830)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005 - 2006، ص ص 214-216.

إنتاجها⁽¹⁾. اضافة إلى صناعة الأسلحة والذخيرة، وتزوير العملة التي عرفت رواجا خلال العهد العثماني⁽²⁾.

وفيما يخص التجارة كانت هي الأخرى نشطة ومزدهرة، استحوذت اهتمام سكان القبائل التي كانت تمارسه بسبب فقر أراضيها، حيث لم تكن الأرض قادرة على تقديم الغذاء الكافي لسكانها، مما أجبرها على امتهان هذه الحرفة كمصدر رزق⁽³⁾.

ساهمت الأنشطة الاقتصادية المتعددة في ظهور معارض عديدة، عملت على تشجيع الحركة التجارية، وتمثل هذه المعارض في الأسواق التي تجري فيها العمليات التجارية، وهي أسواق منتظمة بعضها موسمية وبعضها الآخر أسبوعية أو دائمة.

⁽¹⁾ - مؤلف مجهول، كيفية سيرة الزواوة، مخطوط تحت رقم 3012، المكتبة الوطنية للتحرير، ص ص 16-17.

⁽²⁾ - أرزقي شوبيتم، المرجع السابق، ص ص 224-225.

⁽³⁾ - محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 16.

الفصل الأول:

إنشاء الأسواق وتنظيمها ببلاد زواوة

على الرغم من الاستعمال الواسع لكلمة السوق في اللسان الزواوي، إلا أنها كلمة عربية فصيحة؛ تُطلق على المكان الذي تباع فيه وتُشتري السلع. وهي مشتقة من مصدر الفعل "ساق" "يسوق"، لأنها - في الأصل - كانت المكان الذي تساق إليه الحيوانات المراد بيعها⁽¹⁾، وهي لفظة مؤنثة ويجوز تذكيرها⁽²⁾.

أما في الإصطلاح الاقتصادي، فالسوق أوسع من مجرد مكان، فهو يشمل أي وسيلة يتلاقي من خلالها البائع والمشتري لنقل ملكية السلعة إلى المشتري أو ملكية الثمن إلى البائع⁽³⁾. وكانت الأسواق في البداية عبارة عن معارض موسمية، ثم أخذت منذ القرن 13م تتحول إلى منشآت اقتصادية منظمة ودائمة ومرتبطة بإطار جغرافي محدد⁽⁴⁾. هكذا، أضحت السوق بمنزلة الدّعامة الأساسية التي تقوم عليها اقتصadiات المجتمعات العصر الحديث.

والمجتمع الزواوي، وخلافاً لما قد يعتقد البعض بحكم غلبة الطابع الريفي عليه، فإن السوق لم يكن بالنسبة له دعامةً اقتصادية أساسية فحسب، بل شرياناً حيوياً يتحكم في مختلف تضاعيف الحياة الاجتماعية والسياسية... ناهيك عن الاقتصادية. الأمر الذي جعل عملية إنشاء الأسواق وهيكلتها في بلاد زواوة تحظى بمكانة متميزة وتتفرب بخصوصيات قلماً نصادف نظيرها في الفضاءات الأخرى، وهو ما سنحاول إلقاء أضواءً كافية عليه فيما يأتي:

⁽¹⁾ - محمد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، ج 2، ط 1، المكتبة الإسلامية، د.ت، ص 424.

⁽²⁾ - علي بن هادية، القاموس الجديد، تقديم محمود المسعودي، ط 1، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 495.

⁽³⁾ - محمد علي جمعة، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار السلام والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1981، ص 376.

⁽⁴⁾ - Roger Frydman, Marché Économie, Encyclopédia Universalis, paris, 1985, p 705.

المبحث الأول: إنشاء الأسواق

يمثل السوق في بلاد زواوة الهوية الإقليمية للقبيلة، ويعكس الخصوصيات المحلية المتعلقة بمجتمعها القروي، لهذا كان من الضروري أن تسعى كل قبيلة إلى أن يكون لسوقها موقع استراتيجي، يميزها عن غيرها من القبائل، انطلاقاً من معطيات مُخطط لها مسبقاً. وهو ما سنحاول إبرازه في هذا المبحث.

1 - خلفيات التسمية:

يراعى في اختيار أسماء الأسواق في معظم المجتمعات-بصفة عامة- التركيز على إعطاء الأولوية للأسماء التي تتنمي إلى جغرافية المكان الذي يتواجد فيه السوق، كما هو الحال بالنسبة لمنطقة زواوة. إلا أن هذه الأخيرة أعطت أولوية أخرى إلى جانب جغرافية المكان وهو اليوم.

وبناءً على ذلك، كانت تتم تسمية أغلب أسواق زواوة بإتباع أسلوب التسمية المزدوجة بين اسم اليوم الذي تُعقد أو تُنشط فيه، والمكان أي القبيلة التي تُنسب إليها. فنقول على سبيل المثال: "سبت آث يحي، الأحد آث إرجن، ثلاثة عين الحمام، الاثنين معاشرة"⁽¹⁾.

ويمكن القول في الحقيقة، أن تسمية السوق باسم القبيلة إنما يحمل دلالة ذات صلة بحقوق الملكية، وبقوة وقدرة تلك القبيلة التي سمّي باسمها في استيعاب مثل هذه الفعالية، التي كانت في ذلك الوقت تعتبر من الفعاليات الكبرى بالنسبة للمجتمع المحلي آذاك، أو يمكن أن تكون لتجنب الخلط بين أسماء الأسواق التي تُعقد في القبائل المجاورة فيما بينها في نفس اليوم.

⁽¹⁾ - أ. هانوتوكا. لوتوونو، المصدر السابق، ج 2، ص 80.

وفي هذا السياق، كانت هناك أسواق كبيرة ومهمة أخذت تسمية يوم الجمعة، على غرار "جمعة صهاريج" و"جمعة ناث ورثيلان" و"جمعة آث عزوز"⁽¹⁾، وذلك كون يوم الجمعة باعتباره يوم مقدس مقارنة مع أيام الأسبوع الأخرى، تتم فيه أمور كثيرة بما فيها التسوق⁽²⁾، خاصة وأن معظم هذه الأسواق تمركزت حول المراكز الدينية كالمساجد، لتكون نقطة جذب تجمع الناس بعد خروجهم من المسجد. وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

وتتجدر الإشارة إلى وجود أسواق أخرى في المنطقة منها ما اتخذ تسمية الشخصيات المرموقة والنافذة التي لها وزن إما سياسي أو ديني، كأعيان⁽³⁾ وشيوخ ومرابطي القبيلة⁽⁴⁾ مثل سوق "الأحد تمزريت" نسبةً للمرابط "تمزريت" بقرية "فليسة ملليل". ومنها ما اتخذ تسمية الأحواض المائية القديمة في المنطقة كسوق "جمعة صهاريج". إضافة إلى إطلاق اسم القرية على السوق نيابةً عن اسم القبيلة، كسوق "الأربعاء شريطة" نسبة إلى قرية "شريطة" التابعة لقبيلة "آث يراشن"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - مارمول كريحال، إفريقيا، ترجمة محمد دجي وآخرون، ج 2، دار المعارف الجديدة، 1988، ص 374.

⁽²⁾ - جمال كركار، العرف والعمل الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام "منطقة الزواوة خلال فترة الاحتلال نموذجا" - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007، ص 147.

⁽³⁾ - الأعيان: باللغة الأمازيغية "إمْفَرائِنْ" أو "أُودْمَاؤنْ" وهم أشخاص يتمتعون بسلطة معنوية ونفوذ قوي في المجتمع المحلي بحكم مكانتهم القيادية في النظام القبلي. انظر: عبد الله نوح، المؤسسات العرفية بمنطقة القبائل ووادي ميزاب ومساهمتها في المرافق العامة، مقاربة أنتربولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008 – 2009، ص 256.

⁽⁴⁾ - زين الدين قاسيمي، قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1857-1720)، دار الأمل، الجزائر، د.ت، ص 29.

⁽⁵⁾ - E.Carette, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842 « Études sur la Kabylie », T2, imprimerie nationale, Paris, p 277.

وبشكل عام، نسجل أن تسمية السوق في منطقة الزواوة ترتبط أساسا - باليوم والموقع اللذين يقام فيها، ومن ثم لنا أن نتساءل عن الاعتبارات التي تتحكم في اختيار هذه المحددات، لاسيما الموقع؟

2- اختيار الموقع:

يعتبر اختيار الموقع الأمثل للسوق من أهم مقومات نجاحه، لهذا يمر اختيار بمرحلتين مهمتين: تحديد المنطقة الجغرافية التي سيقام فيها مشروع السوق، وتكييف الموقع داخل حدود هذه المنطقة. وبناءً على هذه المعطيات كان أهل زواوة يقيمون أسواقهم على أراضي البور، داخل القبيلة أو على الحدود من القبائل المجاورة⁽¹⁾.

ذلك لأنَّ هذا الموقع غالباً ما كان يُمثل مكاناً محايده لكل من يرتاده⁽²⁾. هذا ما يفسِّر حرص القبائل على إقامة أسواقها بعيداً عن التجمعات السكنية، حتى تتمكن من الالتزام بحيادها⁽³⁾ وتضمن السير الحسن لمعاملاتها التجارية وأمن الوافدين إليها، وللposure تشتت القرى المنتشرة على مساحة واسعة في المنطقة، كسوق "السبت إِمْزَالْنْ" الذي تمكن من استقطاب أربعة قبائل "إِمْزَالْنْ، إِتُوْجَانْ، آث عَمُورْ، آث عَمُورْ أُوقَرْتَنْ"⁽⁴⁾. وقد أشار "Carette" (كاريت) في دراسته لمنطقة زواوة، أنَّ بعض القبائل تفضل إقامة أسواقها على أنقاض أثار المدن الرومانية، كوسيلة لجذب المتعاملين التجاريين⁽⁵⁾.

بما أن الأسواق هي فضاءات مفتوحة على الهواء الطلق، كان لا بد أن يُراعي موقعها توفير الجو المناسب للتسوق بأريحية، لذلك أقيمت معظمها قرب مجاري المياه والعيون،

⁽¹⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 278.

⁽²⁾- Jules liorel, op.cit, p 342.

⁽³⁾- Martial Rémond, Au cœur du pays kabyle, Ed baconnier-Hélio, Alger, 1933, p 117.

⁽⁴⁾- Alain Mahé, op.cit, p 36-37.

⁽⁵⁾- E.Carette, op.cit, T2, p 278.

وعلى مقرية من الأشجار ذات الأغصان الكثيفة، من أجل الظل الوافر⁽¹⁾، وهو ما أشار إليه مؤلف مخطوط "كيفية سيرة الزواوة" قائلاً أنّ: "...زواوة مولعين بغراسته شجر الدردار لأجل الظل ... وشجر البلوط"⁽²⁾، إضافة إلى أشجار الزيتون والسنديان. لأنّه كلما تمكن السوق من توفير الإمكانيات المطلوبة لمرتاديها، كلما ازدادت شعبيته ونشطت حركته التجارية⁽³⁾.

وما يمكن ملاحظته في موقع هذه الأسواق، هو قرب الكثير منها من الأماكن المقدسة كالمساجد والزوايا، لاسيما أضرحة الأولياء الصالحين ومقر تواجد المرابطين. ويعود ذلك حسب ما ذكره "Alain Mahé" (الآن ماهي) إلى ما كانت تمثله هذه الفئة الأخيرة من احترام وتقدير لدى المجتمع الزواوي، مما جعله يكتفى من إقامة الأسواق بجانب هذه المراكز الدينية، التي كانت حسبة ضرورية لمنحها الجانب المقدس في تسخير شؤونها التجارية، وحل الخلافات التي تنشأ داخلها⁽⁴⁾، كسوق "جامعة بوشافع" الذي أقيم بالقرب من ضريح المرابط "أحمد بوشافع"⁽⁵⁾.

ربما يمكن تفسير هذه الظاهرة كون المجتمع الزواوي كغيره من المجتمعات القروية القديمة تأثر بظاهرة المقدس. وهذه الظاهرة الاجتماعية أفرزها المجتمع انطلاقاً من معتقدات وممارسات دينية توارثتها الأجيال حتى قبل مجيء الإسلام، ليمنح من خلالها الشرعية والقدسية لأعماله وسلوكياته، لتطغى مع مرور الزمن أغلب نشاطاته اليومية من فلاحة وتجارة... وغيرها.

⁽¹⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 277.

⁽²⁾- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 15.

⁽³⁾- أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 2، ص 80.

⁽⁴⁾- Alain Mahé, op.cit, p 66.

⁽⁵⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 147.

ونتيجة لتأثير المجتمع الزواوي بالبعد المقدس للسوق، كثُرت الروايات التي تحدثت عن ارتباط موقعه بالأولياء الصالحين للمنطقة، كرواية المصلي المتعلقة "سوق الجمعة"، التابع لقبيلة "آث مَنْقَلَاتْ" جنوب ولاية "تizi وزو"، حيث ارتبط بأحد الزهاد الورعين، الذي كان يتردد على المكان كل يوم جمعة ليصلّي ويخلو بنفسه، حتى تحول مع مرور الوقت إلى مكان تلاق السكان ثم إلى سوق أسبوعي⁽¹⁾.

في الواقع يمكن القول، أنه رغم مراعاة القبيلة لمصالح القرى باختيارها موقع السوق، إلا أنه في بعض الحالات كان له تأثير عكسي على بعض سكان القرى المنعزلة عن مثيلاتها، بسبب بعد الأسواق عنها. خاصة وأن أغلبها يقع بالقرب من الغابات الكثيفة، كقبيلة "أزفون" وإنزالن، والقبائل المحاذية لغابة "أكفادو"⁽²⁾، مما تذرّ عنّها القدوم إلى هذه الأسواق، كسوق "سبت آث غبّري" الذي كان بعيداً عن القرى النائية⁽³⁾، وعليه بالكاد نجد عدد قليل من القرى التي يمكن لها ولوج السوق دون قطع مسافة طويلة⁽⁴⁾.

لقد أفرزت معايير اختيار الموقع توزيعاً جغرافياً متعدداً للأسواق في المنطقة فتركزت غالبية مواقع الأسواق في الجنوب من سلسلة "جرجرة" وحوض "وادي الصومام"، في القبائل الشرقية التي تعرف بمنطقة القبائل الصغرى، وفي "وادي سيباو" بقسميه العلوي والسفلي في القبائل الغربية التي تكون منطقة القبائل الكبرى⁽⁵⁾. وحسب ما ذكره "Alain Mahé" (الآن ماهي) فقد بلغ عدد الأسواق في بداية الاحتلال بالقبائل الغربية 55 سوقاً، كان أبرزها "سوق الخميس آث عباس" الذي يعقد داخل جدران قلعة "آث عباس"، والذي يشكل أهمية

⁽¹⁾- ناصر آيت مولود، <السوق الأسبوعي التقليدي في منطقة القبائل>>، دراسات اجتماعية، العدد 01، أبريل، 2009، ص 52.

⁽²⁾- Alain Mahé, op.cit, p 37.

⁽³⁾- E.Carette, op.cit, T1, p275.

⁽⁴⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 78.

⁽⁵⁾- مزيان سعدي، المرجع السابق، ص 35.

تجارية في اقتصاد المنطقة⁽¹⁾. في حين أحصى "Carette" (كاريت) عدد الأسواق في المنطقة في بداية الاحتلال الفرنسي 67 سوق⁽²⁾.

كما أفرزت هذه المعطيات تصنيفاً مختلفاً للأسواق حسب تمركز موقعها، فكانت هناك أسواق ذات جاذبية عالية في جذب المتعاملين التجاريين، وأخرى متوسطة الجاذبية، وهو ما حاولنا توضيجه من خلال تقديم لمحه عن هذا التصنيف في جدول⁽³⁾، اعتماداً على ما استخلصناه من كتاب "Carette" (كاريت).

3 – إجراءات التأسيس:

بلاد زواوة اعتباراً من أنّ الحُكم العثماني فيها كان ضعيفاً تقريباً، فإنها غالباً، إن لم نقل كثيراً ما كانت تؤسس أسواقها بنفسها. وبما أن القوانين العرفية الزواوية أقرّت "ثيويني" أي التطوع، لإنشاء مشاريع ذات منفعة عامة، تلبي المصلحة المشتركة⁽⁴⁾، كان لا بدّ أن يخضع السوق هو الآخر إلى هذا النوع من العُرف، من خلال تكافُف جميع أفراد القبيلة في إنشائه.

ومن هذا المنظور، كان يتم تقسيم ثمن شراء قطعة الأرض التي يقام عليها السوق، على جميع القرى التابعة للقبيلة، وداخل القرى على كل بيت، وذلك وفقاً للقوانين المعمول بها في القبيلة. لكن أحياناً يحدث التنازل عن الأرض مجاناً دون أي مقابل مادي من طرف

⁽¹⁾ - Alain Mahé, op.cit, p p 36-37.

⁽²⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 310.

⁽³⁾ - انظر الملحق رقم 04، ص 105.

⁽⁴⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 115.

أصحابها، ربما طمعا في كسب الشعبية والسمعة والنفوذ داخل حدود القبيلة وخارجها كما أشار إليه "هانوتو"⁽¹⁾، أو مجرد فعل خير.

وعلى هذا الأساس، نجد أن ملكية السوق تصبح للفيبلة التي أنشأته على أراضيها، أما في حالة تأسيسه على الحدود المشتركة مع قبائلتين أو أكثر، فإنها تتقاسم ملكيته فيما بينها تحت اسم الشمل، مثل "سوق الثلاثاء" الذي يقع على حدود قبيلتي "آث يَّيْيِي" و"آث بُودرَاز"⁽²⁾، لكن هذه الحالة الأخيرة نادرة الحدوث⁽³⁾. وتحصل القبيلة التي تريد تأسيس سوق على أراضيها، على ترخيص بالموافقة من القبائل المجاورة التي تملك سوقا آخر كشرط أساسي، حتى لا يمس ذلك بمصالحها التجارية⁽⁴⁾.

رغم أن السلطة العثمانية أثناء فترة حكمها لم تصب جل اهتماماتها بإقامة وترقية المنشآت الاقتصادية للبلاد - بما فيها منطقة زواوة - إلا أن ذلك لم يمنعها من تأسيس بعض الأسواق التي كانت أغلبيتها متمركزة في المناطق التي تنتشر فيها حامياتها العسكرية. ومن أهمها نجد سوق "سبت على خوجة" بقبيلة "عمراؤة"، بالقرب من "ذراع بن خدة"، أسسه القائد العثماني "علي خوجة"⁽⁵⁾ سنة 1720 م بمنطقة "بغليبة"، التي أصبحت فيما بعد تُعرف "سبت على خوجة"⁽⁶⁾. وقد أشار "محمد الصغير فرج" أن هذه السوق نُقلت إلى "تizi وزو"

⁽¹⁾- أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص ص 79-80.

⁽²⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 357.

⁽³⁾- ناصر آيت مولود، المرجع السابق، ص 45.

⁽⁴⁾- أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص 80.

⁽⁵⁾- E. Carette, op.cit, T1, p 192.

⁽⁶⁾- N.Robin, note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie, in R.A.N 17, Alger, 1873, p 138.

في تاريخ غير محدد، لكنه رَجَحَ أن ذلك حصل بعد رحيل العثمانيين حوالي 1840م تقريباً⁽¹⁾.

وعليه، بما أن السوق يخضع في شروط اختيار موقعه وتأسيسه إلى مجموعة من الضوابط التي تفرضها القبيلة مراعاةً لمصالحها، يتadar إلى أذهاننا استفهام حول ما هي مسؤوليات هذه الأخيرة اتجاه السوق، وماذا يمكن أن تقدمه له لتضمن سيرورته؟

4- السوق في ظل القبيلة:

السوق مثل كل مؤسسات زواوة، تتمتع بالشخصية المعنوية (القبيلة، القرية..)، لها حق اكتساب الحقوق وتحمّل الالتزامات، منها تقديم "العناية"⁽²⁾، التي كان يستفيد منها مرتدى السوق تلقائياً، حمايةً من أي إهانة أو اعتداء⁽³⁾. وبفعل غياب السلطة الحاكمة، أصبحت هذه العناية أداة أساسية في تنظيم المجتمع الزواوي وضمان استقراره⁽⁴⁾.

بالنسبة لهذا المجتمع، لا يوجد أي سلطان في العالم يمكن أن يقارن بالعناية، فالرجل الزواوي يمكن له أن يتخلّى عن زوجته وأولاده ومنزله، لكنه لا يستطيع أن يتخلّى عن عنايته أبداً، هذه العناية تمثل أسمى شيء لدى أهل زواوة، وهي في رأي "Daumas" (دوماس) فريدة من نوعها لا توجد عند باقي الشعوب⁽⁵⁾. ولهذا كانوا ينظرون إلى العناية

⁽¹⁾- محمد الصغير فرج، تاريخ تizi وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954م، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرباب، الجزائر، 2002، ص 83.

⁽²⁾- العناية: هي عبارة عن حماية يمنحها فرد أو قرية أو عرش للفرد أو الجماعة للتقلّ في حيز جغرافي معين بأمان. أنظر محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 108.

⁽³⁾- Alain Mahé, op.cit, p 67.

⁽⁴⁾- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 108.

⁽⁵⁾- E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 70.

نظرة مقدسة، فهي تعبّر عن شرفهم ومكانتهم في وسط القبائل أو العروش، فالقبيلة التي تمنح الحماية للأجانب الذين يرتادون أسواقها تحترم إرادتها من قبل كل سكان الأعراس⁽¹⁾.

وبناءً على ما سبق، كان لابد أن يُوضع السوق تحت حماية أفراد القبيلة المالكة له، التي تسعى إلى توفير السلم والأمن له⁽²⁾، فيحصل كل فرد يتوجه إلى السوق على العناية، مهما كانت القبيلة التي ينتمي إليها، ومهما كانت علاقته مع القبيلة التي يتواجد فيها السوق. وهذه العناية كانت تسري في جميع أسواق منطقة الزواوة⁽³⁾.

ولكن بالرغم من تتمتع السوق بالحماية، إلا أنه كان يتأثر أحياناً بالعلاقات التي تجمع القبائل فيما بينها. ففي حالة نشوب حرب بين القبيلة المالكة للسوق، وقبيلة أخرى لا تملك سوقاً لها، تهجر هذه الأخيرة ذلك السوق وتنشأ سوقاً آخر على أراضيها، و يكون يوم انعقاده في الغالب في اليوم الذي كانت تتردد فيه إلى السوق الأولى فيما مضى.

وظهور مثل هذه الأسواق المفاجئة مؤشر على أنَّ قبيلتين في حالة توتر وحرب⁽⁴⁾. لكن بمجرد أن يحل السلام وتعود المياه إلى مجاريها يختفي هذا السوق الاضطراري، وتعود تلك القبيلة إلى ارتياح السوق الأولى الموحدة لمصالحهما وشؤونهما ومصيرهما المشترك. وهو ما يفسر ظهور واختفاء بعض الأسواق مثل "سوق الثلاثاء" في قبيلة "آثَيْنِي" وبقاء تسمية الثلاثاء للأراضي التي كان يعقد فيها⁽⁵⁾.

ونظراً لما تشكله العناية من أهمية لضمان استقرار السوق، فإنَّ كان من الطبيعي أن تحرص القبائل على عدم الإخلال بها تحت أي ظرف، لأن خرقها سيؤدي حتماً إلى خلق

⁽¹⁾ - جمال كركار ، المرجع السابق، ص 166.

⁽²⁾ - Jules liorel, op.cite, p 342.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو ، المصدر السابق، ج 2، ص 82.

⁽⁴⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 281.

⁽⁵⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو ، المصدر السابق، ج 2، ص 84.

عدة مشاكل، أهمها حدوث توتر بين القبائل الذي ينبع عنه زعزعة أمنها وأمن أسواقها. والحوادث التي تدل على ذلك كثيرة، منها ما حدث في قبيلة "آث جناد"، حيث منح الشاعر "يوسف أوقاسي"⁽¹⁾ عنايته لتجار الزيت الذين كانوا يبيعونه في أسواق "الجزائر" العاصمة، وعند وصولهم إلى "تاڭمدة" على أراضي "عمراء"، تم تجريدتهم من بضائعهم من قبل "بن علي نايت قاسي"، من أسرة أوقاسي ذات النفوذ. فسخط الشاعر "أوقاسي" على هذا العمل المشين، فدع إلى عقد اجتماع عام للقبائل التابعة لإتحاد "آث جناد"، وألّف في مجلس "شاجماعيش"⁽²⁾ قصيدة مرتجلة جاءت كلماتها كالتالي:

بن علي خرق عنايتنا.

وإذا تركناه يدوس على عنايتنا نخسى من العار.

إذا لم نحترمها سيؤدي ذلك إلى مصائب كبيرة .

لعناية هي بركان نار، ولكن بالتأكيد إنها شرفنا.

« Ben Ali a braisé notre anaia »

« si nous la laissons fouler aux pied, nous avons à craindre la honte ».

⁽¹⁾ - يوسف أوقاسي: شاعر مشهور بالشعر الأمازيغي، عاش في القرن الثامن عشر، وهو ينتهي إلى عرش آث جناد، كان له دور كبير في تحقيق المصالحة وتحسين العلاقات بين مختلف أعراس منطقة زواوة. أنظر: محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 101.

⁽²⁾ - شاجماعيش: هي كلمة قبائلية تعني الجماعة، وهي الهيئة التي تتولى تسيير شؤون القرية المختلفة كالأمن والتعاون والتضامن والتعليم، وت تكون من إمام القرية وممثلي الحرارات "طمان إدرمان". أنظر: محمد أرزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة ط2، دار الأمل، 2006، ص 249.

« si nous la faisons respecter, il peut en résulter de grands malheurs ».

« l'anaia est une montagne de feu ». « mais c'est sur elle qu'est notre honneur ».

فأعلنت الحرب في اليوم الموالي للحادثة على عرش "عمراءة"، ولم تنتهي إلا بعد أن أعاد "بن علي نايت فاسي" مكان مسروقاً إلى أصحابها⁽¹⁾.

وعلى ضوء ما سبق، تتجلى بوضوح أهمية العناية لدى المجتمع الزواوي، والتي ربما أولى لها أهمية أكثر من غيره من المجتمعات. بدليل أنه أرفقها بالسوق منذ تأسيسه وظلت مرتبطة به على مر العقود. حتى أصبحت الوسيلة الفعالة التي يستند إليها الأفراد، لضمان تنقلهم في الأسواق بكل حرية⁽²⁾، أين يتفرغ كل فرد إلى شغله في أمن واطمئنان⁽³⁾. لتخذ بذلك العناية السمة الغالبة على أسواق المنطقة.

المبحث الثاني: تنظيم الأسواق.

بالرغم من الإجراءات الخاصة المصاحبة لوضعية السوق في بلاد زواوة، إلا أن تنظيمها في المجتمع الزواوي لا يخرج عن القاعدة المتعارف عليها في أسواق المجتمعات الأخرى، وهي مبدأ التخصص والتنظيم وتطبيق قواعد الأمن والمراقبة. وهو ما سنتطرق إليه في هذا المبحث.

⁽¹⁾- Jules liorel, op.cit, p 437.

⁽²⁾- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 12 - 13 .

⁽³⁾- أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 108 .

1- أقسام السوق "أرجبات":

من خلال محاولة دراسة الهيكل الخارجي للسوق، تبين بعد الاطلاع على المصادر المتاحة، أن السوق في منطقة زواوة خلال الفترة المدروسة، لم يكن يمتلك دعامات بناء معماري، سواء من حيث العمارة كالجدران والأعمدة والأروقة أو الحوانيت مثل أسواق المدن. فلم تشر المصادر والمراجع إلى ذلك بتاتاً، في حين أنها أسلبت في ذكر التفاصيل الداخلية للسوق. وعليه حسب ما لُوحظ في بعض الصور المتوفرة⁽¹⁾، كان هيكل السوق عبارة عن ساحة مكشوفة على الهواء الطلق، تحيط بهأشجار كالتوت البري، وهي كثيفة وبعضاها شائكة، تحل محل الجدران من شدة تشابكها.

أما داخل السوق، فكانت تقسم السوق الواحدة إلى عدة أجزاء كل واحدة منها تسمى "الرحبة"⁽²⁾، واحتضن كل واحدة منها نوع من المبيعات، منها رحبة الحبوب والخشب وأخرى للأقمشة، ورحبة خاصة بالأبقار والماشية، كما نجد رحب أخرى للمواد الغذائية والحرف والحلقة، والمقاهي والجازرة والأواني المنزلية... وغيرها. وفي الرحبة يحتل القادم الأول المكان الذي يختاره وعادة ما يكون في مقدمة الرحبة لجذب المشترين⁽³⁾، وهو ما قد يفسر تفاوت الأرباح بين الباعة رغم توحد نشاطهم.

يتقاسم أصحاب المهن والمنتجات المشتركة رحبة من الرحاب ولا يجب على أي واحد من التجار أو الحرفيين أن يعرض منتجاته في رحبة أخرى، فالسوق له قوانين لا يجب تجاوزها. أما بائعو القماش والحرير والبقالة ومواد الزينة ينصبون خيم صغيرة تؤويهم هم وبضائعهم، وربما يرجع ذلك إلى كون هذه المهن تقل أهميتها في السُّلْطُم الاجتماعي. ويوضع

⁽¹⁾- انظر الملحق رقم 05، 06، 11، 13، ص ص 108، 109، 114، 116.

⁽²⁾- الرحبة: هي فراغات غير مبنية، تعددت وظائفها وتتنوعت حسب الفصول وحسب أوقات اليوم، وتشكل مجالا هاما للتبدلات الاقتصادية. انظر: إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر، 1991، ص ص 14-15.

⁽³⁾- ناصر آيت مولود، المرجع السابق، ص 45.

في كل سوق رحبة خاصة بالكياليين يتم تعيينهم من طرف القبيلة، وهم معتمدون وظيفتهم كيل المواد التي تباع بالكيل كالحبوب، الفاصوليا، الزيت..الخ⁽¹⁾.

كانت المساحة الأكبر في السوق من نصيب الجزارين⁽²⁾، لأن الرحبة كان جزء كبير منها عبارة عن مسلح على الهواء الطلق يتم فيه ذبح وسلح الماشية. وفي هذا الصدد قدم *Huit jours en Kabylie* (فرانسوا شابري) ملاحظة عن الجزارين في كتابه "françois charvériat"⁽³⁾، مفادها أن تجار اللحوم كانوا يُكتفون عدد رجبيهم في اليومين الأخيرين من شهر رمضان، بسبب تهافت السكان لاقتناء اللحم للاحتفال بانتهاء شهر رمضان بإقامة الولائم⁽⁴⁾. حيث يقطع الجزارين اللحم على سرير رقيقة مغطاة بالسرخس إلى قطع صغيرة لا تتجاوز قبضة اليد⁽⁵⁾.

وقد لُوِّحَت وجود أسواق مخصصة للنساء، بحيث أن المعاملات التجارية المتمثلة في البيع والشراء تقتصر على العنصر النسوِي فقط، مثل سوق "سيدي منصوري"⁽⁶⁾، ولكن حسب ما ذكرته المصادر فإن عددها قليل مقارنة بالعدد الإجمالي لأسواق المنطقة. أما باقي الأسواق الأخرى فكانت تملك فيه النساء رحْب خاصَّة بهن تبعن فيه مختلف المنتجات اليدوية التي هي من صنع أيديهن كالفخار والنسيج والصوف⁽⁷⁾، والتي تشكل بالنسبة لهن

⁽¹⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 80 .

⁽²⁾ - **الجزارين**: هم الذين يعملون في الجزارية (بيع اللحوم)، وهم في الغالب من فئة العبيد "الزنوج" الذين توافدوا إلى بلاد زواوة كأعوان للجيش العثماني ثم اندمجوا مع المجتمع المحلي حيث امتهنوا حرفة الجزارية. أنظر: محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 98. أنظر الملحق رقم 10، 12، ص ص 113-114.

⁽³⁾ - François Charvériat, Huit jours en kabylie, à travers la kabylie et les questions kabyles, Paris, 1889, p 22.

⁽⁴⁾ - Martial Rémond, op.cit, p 119.

⁽⁵⁾ - محمد أرزقي فراد، أزفون، ص 274.

⁽⁶⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 81.

مصدر دخل صغير⁽¹⁾، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على جميع نساء منطقة الزواوة ولا على جميع الأسواق، بل كان مقتضرا تقريبا على الضفة اليمنى من "سيباو"، وقبائل "آث بيراثن، آث فراؤسن، آث بو شعائب".

ذكر "هانوتو" في كتابه "منطقة القبائل والأعراف القبائلية" اختصاص بعض الأسواق بنوع معين من المنتجات مثل "سوق سبت آث يحي" و"سوق جمعة آث أقييل" اللذان تباع فيما ماشية دون غيرها من المنتجات⁽²⁾، ويرجع ذلك إلى اختصاص كل قبيلة من قبائل جرجة بإنتاج معين⁽³⁾. فقد اشتهر "آث يني" بصياغة الفضة وهو ما جعل هذه القبيلة تماك سوق خاص بهذا النوع من المنتجات، كما اشتهر "آث منقلات" بالمصنوعات الخشبية و"آث يحي" بالأقمشة القطنية⁽⁴⁾.

ونظرالأهمية الأسواق في حياة السكان كثُر مرتداتها خاصة الكبيرة منها، فكانت تتجاوز أحيانا حدودها الأصلية لتفتح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الوافدين، وهو ما يفسح المجال لتزاحم الحشود من أجل دخول السوق، وكان هذا في بعض الأحيان يخلف مظاهر سلبية على سمعة السوق، وذلك بانتشار الفوضى وخاصة الأوساخ في محيط السوق⁽⁵⁾.

والغريب في هذا الشأن، هو عدم تطرق جل المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا لجانب تنظيف السوق، الذي من المفترض أن يكون من اختصاص أشخاص معينين، أو يكون عملية تطوعية، مثل ما هو معهود في أسواق المدن كأسواق مدينة الجزائر. ولهذا لم نجد في هذا الصدد، سوى ما أشار إليه "أرشيف ما وراء البحار" و"Rémond" (ريموند).

⁽¹⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 117.

⁽²⁾- انظر الملحق رقم 09، ص 112.

⁽³⁾- أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 80، 81.

⁽⁴⁾- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1729 - 1830)، ط 3، البصائر، الجزائر، ص 34.

⁽⁵⁾- Martial Rémond, op.cit, p 117.

حيث ذكر هذا الأخير أن عملية تنظيف الأسواق تقوم بها الطيور الجارحة المتمثلة في الغريان والنسور، التي أطلق عليها سكان المنطقة بالزبال⁽¹⁾، حيث تأتي هذه الطيور السوداء ذات الأجنحة الكبيرة لتأخذ بقايا النفايات المتراكمة⁽²⁾ من لحوم وحبوب وغيرها.

وعلى هذا الأساس، نتساءل عن سبب عدم إدراج هذا الجانب رغم أهميته ضمن تظميمات السوق، كتعيين منظفين من شباب المنطقة. أم أن الطيور كانت بالنسبة للقائمين كفيلة بأداء المهمة على أكمل وجه، أو ربما قد يكون هذا الجانب غير مهم بالنسبة لهم باعتباره فضاء مفتوح ليس بحاجة إلى التنظيف.

2 - مراقبة وأمن السوق:

إن الهيئة المشرفة على تنظيم سياسة أمن الأشخاص والمعاملات، وتطبيق القانون داخل السوق لا تعهد إلى القادة الإداريين⁽³⁾ "أمين القرية" أو "أمين أمناء العرش"⁽⁴⁾. وإنما تعهد إلى مجموعة متخصصة اختير أعضائها من طرف ثاجماعث⁽⁵⁾ القبيلة المالكة للسوق، وهي تتمتع بسلطة منفصلة ومستقلة عن سلطة العرش⁽⁶⁾. مهمتها ضمان استقرار السوق

⁽¹⁾ - Martial Rémond, op.cit, p120.

⁽²⁾ - Monographie de l'arrondissement de Tizi-ouzou, octobre 1953. In C.A.O.M. 915-88, p83.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج2، ص 82.

⁽⁴⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 100.

⁽⁵⁾ - محمد أرزقي فراد، أزفون، ص 249.

⁽⁶⁾ - Alain Mahé, op.cit, p 66.

كمجال مؤمن مثل باقي المجالات الحيوية في قانون الأعراس⁽¹⁾، وعليه كان يعهد تسخير السوق إلى الأشخاص الآتين:

أ- كبير السوق⁽²⁾:

هو المسؤول الأول عن حفظ الأمن والنظام في السوق، يحرص أن تكون لعناية السوق محترمة على طول امتداد أراضي القبيلة. ويعين على كل سوق أمقران واحد مهما بلغ حجم بحر السوق، وذلك لتقادي وقوع أي منافسة أو خلط في تأدية المهام في حال ازدواجية المنصب.

ويشترط في أمقران السوق أن ينتمي إلى القبيلة التي يعود إليها السوق، وأن يكون من عائلة عريقة تحظى بوزن ونفوذ قوي حتى لا يتعرض للمساومة والتهديد، كما يشترط فيه أن يتمتع بسلطة أخلاقية معترف بها لإكساب السوق سمعة طيبة⁽³⁾. فحياد السوق يقتضي على أمقران السوق أن يكون متشددا في قمع أعمال العنف التي ترتكب داخله والتي يمكن أن تتطور إلى صدامات دموية⁽⁴⁾.

ويتعامل أمقران السوق مع الأجانب بتسامح أكبر من ذلك الذي يظهره أمام أفراد قبيلته، ذلك أن هؤلاء لن يحاسبوه بحرم في حال تحizه، بينما لن تتوانى القبائل التي يكون أفرادها قد تعرضوا للإجحاف في حقهم من الاحتجاج بشدة. ولكي يفرض احترام قراراته⁽⁵⁾ وعدم

⁽¹⁾- أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر (عهد إمارة كوكو 1512-1767)، دار الأمل، تizi وزو، د.ت، ص 142.

⁽²⁾- **كبير السوق**: يعرف لدى المجتمع الزواوي بالصيغة القبائلية "أمقران السوق"، وهي التسمية المشاعبة في المنطقة.

⁽³⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 82.

⁽⁴⁾- أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 204.

⁽⁵⁾- أ.هانوتوا.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص ص 82-83.

المساس بشخصه، يستند على قوة الصف⁽¹⁾ التي تبني القاعدة التالية "وَيُنِيبُكْ عَوْنِيْثُ يَظْلُمْ نَغْ يَسْوَظْلُمْ" أي "ناصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"⁽²⁾.

أمegan السوق يملك صلاحيات عديدة، ويتحمل مسؤوليات كبيرة جعلته يتمتع بسلطة أوسع من سلطات أمين القرية. فهو يعين حراساً يراقبون الأشخاص الذين لهم مخاوف من التعرض لأي اعتداء أثناء الطريق، ويقوم بطرد المتشاجرين الذين يعرضون النظام العام للاضطراب خارج السوق دون إحالتهم إلى المحاكمة، كما يتولى تكليف رجال القبيلة بالقبض على المذنبين في حالة وقوع سرقة⁽³⁾.

إلى جانب هذه المهام، كان ينظر في أمر الاحتجاجات التي ترفع إليه فيما يتعلق ببيع حيوان مسروق أو مصاب بعيوب يدعوه إلى الفسخ، فيحتفظ بموضوع الاحتجاج إلى غاية حكم العدالة بشأنه. كما يتخذ إجراءات صارمة لجعل كل بائع يلتزم ببرحبته، وحمل الكياليين على أداء مهامهم بأمانة، وبعدم بيع لحم غير منحور وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية. وفي الأخير يعاقب كل مخالف للقانون بغرامة يستوفي حقها في الحين ويحتفظ بحقها إلى غاية النظر في كيفية استخدامها.

⁽¹⁾- الصف: هو شكل من أشكال التحالف في إطار الثانية على مستوى القرية أو العرش، لا يقيم وزناً لقيمة الحق، يُبنى على أساس مختلفة، منها طبغرافية المكان أو الزعامة. انظر: محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 101. ويعود أصل ظهور الصف حسب الروايات إلى القرن 16م، حيث كان يوجد شقيقان يعيشان في آيث فراوسن "أحدهما يسمى "بوختوش" والآخر اسمه "أورخو"، ينتهيان لعائلة سيدي عامر القاضي القاطنة في جبال "فيوان" بقرية "جمعة صحاريج". وبعد مشاجرات بين الطرفين انصلا عن بعضهما البعض واندلعت الحرب بينهما، فبقي "بوختوش" في قرية "جمعة صحاريج"، أين انضمت إليه مجموعة من القرى مشكلا الصف السفلي، بينما نزل "أورخو" بقرية "إفينين" مشكلا الصف العلوي. انظر:

Jules liorel, op.cit, p p 339-340

⁽²⁾- محمد ارزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 101.

⁽³⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 82.

على الرغم من السلطة شبه المطلقة التي تتمتع بها أمقران السوق، إلا أن ذلك لم يمنحه حق الخوض في بعض القضايا المستعصية، التي عادةً ما ترفع إلى أحد المرابطين⁽¹⁾. إذ اقتصر دوره فقط في الخوض في الجنح والمخالفات المتعلقة بالنظام العام، أما الاحتجاجات المدنية أو التجارية الطارئة فقد كانت ت تعرض على طرف آخر لا يقل أهمية وهو "عالم السوق"⁽²⁾.

ب - عالم السوق:

هو إمام أو أحد مرابطي القبيلة، يشكل قمة الهرم الاجتماعي في المجتمع الزواوي، ينتمي إلى أسرة ذات اعتبار ومكانة اجتماعية، يحظى بنفوذ روحي وديني قوي منحه احترام وطاعة الأهالي⁽³⁾. غالباً ما يتم اختياره من العائلات الشريفة المعروفة بالورع والتقوى والعلم⁽⁴⁾، له سلطة توفيقية إصلاحية تختلف عن سلطة رئيس السوق التي كانت ردعية، مما جعل المرابط يقوم بمهام القاضي حتى أطلق عليه تسمية "عالم السوق"⁽⁵⁾. ويقدم خدماته وخبراته دون مقابل سوى طلب الشّكر والبركة⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 279.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج2، ص ص 82 - 83.

⁽³⁾ - Said Eddine Boulifa, Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830, Bringau, Alger, 1925, p 228.

⁽⁴⁾ - جمال كركار ، المرجع السابق ، ص 159 .

⁽⁵⁾ - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 10 .

⁽⁶⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 279.

وبما أن الأتراك لم يهتموا بالتعليم وتوجيه الأمور الإدارية والقانونية في الريف بشكل عام - بما فيها بلاد زواوة، وركزوا اهتمامهم على جباية الضرائب، تمكن المرابط من ملأ هذا الفراغ للمجتمع المحلي⁽¹⁾، حتى في الأمور المتعلقة بشؤون السوق.

فكان عالم السوق يتخذ لنفسه مجلسا في مكان خاص في إحدى زوايا أو جوانب السوق، محاطا بمجموعة من المرابطين الذين يعملون على مساعدته في حل الخلافات المدنية والتجارية كقضاة محلفين⁽²⁾. يُبيّن ويصدر أحكاما في القضايا المتنازع فيها أمام العدالة والتي تحال إليه من طرف "أمقران السوق" الذي يقوم بتنفيذها⁽³⁾.

وكان يستجيب لطلبات بعض المتخصصين الذين يطلبون منه الوقوف في خصوماتهم قائلًا: "شرع الله معك في برنوسك". ومن ثم إن حكم بينهم ولم يعجب الحكم أحد الخصمين يقول للعالم "هذا الحكم لا يعجبني وصار يخاصم في القاضي"⁽⁴⁾، لذا فإنه في بعض الحالات يقوم المتخصصين باختيار محكمة أخرى غير التي يترأسها ذلك العالم بعد اتفاق مشترك بينهما⁽⁵⁾.

ويلجأ عالم السوق في بعض القضايا التي ليس لها حكم شرعي كوقوع غلط في البيع والشراء أو سلعة رديئة مرقعة أو عيب في الدواب إذا كانت لم تصلح، إلى الرجوع للعرف والعادة القديمة التي تسري في الأسواق بعد استشارة مشايخ الدشرة⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - محمد الطاهر الفيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر، 1976، ص 30.

⁽²⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 280.

⁽³⁾ - أ.هانوتوا وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص 84.

⁽⁴⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 12.

⁽⁵⁾ - أ.هانوتوا وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص 84.

⁽⁶⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 11 - 12.

ج- الأعوان والمساعدين:

هم مجموعة من الرجال ذوي النفوذ والقوة، ينتمون إلى نفس القبيلة التي ينتمي إليها "أمقران السوق"، يتم استشارتهم من طرف هذا الأخير في القضايا الهامة. ي gioيون السوق طولاً وعرضًا عبر رحاب التجار، وحتى خارج حدود السوق لاحاطته بكل المستجدات التي تجري هناك، ومهمتهم الأساسية هي السهر على إعادة النظام وحفظ الأمن بطرد كل من يمس بسكنية السوق⁽¹⁾.

د- المحتسب:

تكمّن مهمة المحتسب في النّظر والحرص على تشديد الرقابة على المواد المعروضة للبيع في الأسواق مثل المبيعات المحرمة كالخمر ولحم الجيفة وغيرها، إضافة إلى محاربة الغش والتزوير في العملات⁽²⁾.

هـ- المخالفات والعقوبات:

إن للسوق العديد من الأنظمة الإدارية والأعراف الخاصة به، لا يمكن تجاوزها خاصة تلك المتعلقة ببعض السلوكيات والممارسات التي يرتكبها مرتدى السوق، كالمشاجرة أو الاعتداء⁽³⁾ أو التي يرتكبها الباعة، كالاحتياط في "وحدات القياس الخاصة بالحبوب والفواكه والخضر وغيرها، أو مظاهر الغش في بيع ونوعية المنتجات كدهن التين بالزيت وخلط القمح

⁽¹⁾- أ.هانوتو وأ.لوتونزو، المصدر السابق، ج2، ص 82.

⁽²⁾- جمال كركار، المرجع السابق، ص 158.

⁽³⁾- Jules liorel, op.cit, p 342.

بالشعير أو بقایا التبن مع الطحين ومزج اللبن بالماء، وخلط العسل الجيد بالعسل الرديء والزيت القديم بالجديد، هذا إلى جانب بيع بعض الثمار قبل نضوجها⁽¹⁾.

وعقوبة هذه المخالفات مهمة في ضمان السير الحسن للمعاملات التجارية، وفي الحفاظ على سمعة الأسواق. لذا كانت ثعاقب أعمال الغش التي يقوم بها البائعون بدفع غرامات ثقيلة جداً تشتدّ في حالة ما إذا كانت المادة المباعة مضرّة بالصحة⁽²⁾.

وبما أن السوق هو ذلك المكان المقدس والمحايده، كان لزاماً عليه أن يكون حازماً في تطبيق عقوبات شديدة على الاحتيال والسرقة⁽³⁾، لذا كان ينجر عن ابسط سرقة حكم الموت بدون محاكمة ومن دون سابق إنذار. فقد حدث في إحدى المرات معاقبة أحد المجرمين بعملية الرجم وكان "أمقرن السوق" هو أول من رمى الحجر ثم تبعه الشهود ثم مجموعة من المحتشدين حول السوق⁽⁴⁾.

والملفت في قضية تطبيق قانون الإعدام الذي شبهه "هانوتو" بـ قانون "lynch"⁽⁵⁾ الذي يحمل اسم القاضي الأمريكي "lynch" (لينش)، هو أن الغرباء الوافدين إلى السوق هم من يطبقونه، عكس سكان القبيلة الذين يبذلون جهدهم في تفادي مثل هذه الإعدامات الدامية المسيئة لسمعة سوقهم. لكن في بعض الحالات يتم إنقاذ الجاني من قبضة جلاديه، بفضل رجال ذوي نفوذ يخفضون عقوبة الموت إلى طرده وسط الأصوات الساخرة والعالية وتحت

⁽¹⁾ - مفتاح خلافات، قبيلة زواوة بال المغرب الأوسط ما بين القرنين (15-12هـ/15-19م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، ص 208.

⁽²⁾ - أ. هانوتو وأ. لوتورنو، المصدر السابق، ج 3، ص 275.

⁽³⁾ - Jules liorel, op.cit, p 342.

⁽⁴⁾ - Alain Mahé, op.cit, p 67.

⁽⁵⁾ - قانون Lynch: ويعني تنفيذ حكم الاعدام من طرف المتواجدین بالضرب حتى الموت، ويتم تنفيذ الحكم لحظة وقوع المخالفة أو الجريمة.

وابل الحجارة بعد حلق لحيته وحاجبيه وشاربيه، وبعد نزع ثيابه لترق أمام الحاضرين⁽¹⁾، وهو ما أشار إليه مؤلف "كيفية سيرة زواوة" قائلاً: "...يجروه فقط حتى لا يتركوا له غير الثوب الذي يستر عورته..."⁽²⁾.

3-الضرائب:

الأسواق الأسبوعية في منطقة زواوة كانت معظمها حرّة ومعفاة من دفع أي ضرائب أو رسوم على البضائع والسلع المباعة بكل أنواعها للقبيلة المالكة للسوق⁽³⁾، كما أنها لم تكن تدفع أي ضريبة حول حقوق السوق كسوقي "الأحد أو أكلي" بقرية "توجة" و"الخميس آث عباس"⁽⁴⁾، مما يمكن القول أن السوق لا يستفيد ولا يحصل على أية أرباح من الناحية الاقتصادية.

لكن هناك استثناءات تفرض فيها الضرائب على بعض المنتجات، مثل اللحوم لصالح مدرسة أو معمرة⁽⁵⁾ القبيلة، ولكن ليس نقدا بل يتم اقتطاع عن كل ذبيحة شريحتين من لحم البقر وشريحة من لحم الخروف أو التيس. كما يتحصل السوق على بعض الضرائب الصغيرة الغير المباشرة وذلك عن طريق بيع أماكن الكياليين خاصة كيالي الزيت⁽⁶⁾.

⁽¹⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 83.

⁽²⁾- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 12.

⁽³⁾- M.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 55.

⁽⁴⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 71.

⁽⁵⁾- معمرة: هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن والعلوم الشرعية، انتشرت بكثرة في الأرياف خاصة ببلاد زواوة.أنظر المهدى البوعبدلي، الرباط والفاء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة، عدد 13، 1973، ص 26-27.

⁽⁶⁾- أ.هانوتوا وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 81.

وتكرس أموال الغرامات وضربيه حقوق بيع أماكن الكيالين في صيانة السوق والطرق المؤدية إليه والعين والجامع، أما الفائض منها فيصرف في النفقات الخاصة بشؤون القبيلة، أما إذا كانت العائدات زهيدة فكانت ترك ل الكبير السوق⁽¹⁾.

أما الأسواق التابعة للقبائل الخاضعة للسلطة العثمانية، كان يفرض عليها دفع حق المكس التي يشرف على جمعها قايد عثماني. وكانت تقدر نسبتها بحوالي 10% على جميع السلع، وهي تعود إلى خزينة الدولة⁽²⁾.

4 - السوق في قوانين القرى:

يوجد في منطقة زواوة قوانين جنائية خاصة، بما فيها قانون السوق الذي يحمل في طياته ازدواجية في التطبيق، حيث يتتفوق القانون الشعبي على القانون الرسمي. فالقانون الشعبي ملك لكل الحاضرين، يمارس دون أي إجراءات، وعقوبته واحدة وهي الموت، فموقع السوق مقدس وكل فعل شنيع يدنسه. أما القانون الرسمي كان يحرص على تطبيق الغرامات والضرائب المفروضة حسب كل عقوبة⁽³⁾.

ويرجع "هانوتو" سبب ازدواجية تطبيق القانون إلى انعدام وجود سلطة واحدة، وإلى انقسام المنطقة إلى قرى وقبائل مستقلة، تتبدل العداوة فيما بينها⁽⁴⁾. والملاحظ أن قانون السوق في زواوة يختلف من منطقة إلى أخرى، ومن عرش إلى آخر ويعود هذا، إلى اختلاف الأشكال التنظيمية لكل سوق، فنجد من بين هذه القوانين ما يلي :

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج2، ص 84.

⁽²⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 279.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج3، ص 309.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ج3، ص 113.

قرية آث فراوسن:

- من يبيع في السوق لحم حيوان لم يذبح بالطريقة الشرعية يدفع 5 دورو غرامة.

- من يبيع جلد حيوان مات ميّة طبيعية يدفع 5 دورو غرامة⁽¹⁾.

قرية شرفة إغيل قيكان:

- عندما يذهب إلى السوق أشخاص منتمون إلى الزاوية، وقام أحدهم بالكشف عنهم للزواوبيين لكي ينفذ هؤلاء عمليات انتقام ضدهم، يدفع 5 ريالات غرامة ويعوض الأشياء المنهوبة سواء كان المبلغ باهظاً أو زهيداً.

- من يستعين بالمتمردين في السوق يدفع ريالاً.

- من استعمل عملة مزورة في الأسواق يدفع 10 ريالات غرامة.

- من سرق اللحم في السوق يدفع ريالاً، أما إذا سرق شيئاً آخر غيره يدفع 4 ريالات⁽²⁾.

قرية ثوريرث نتيدس:

- يدفع السارق من السوق 5 ريالات.

- لا عقوبة على من قام بالثار لدين الدم في السوق.

- من قتل سارقاً لا يدفع غرامة.

⁽¹⁾ - أ.هانوتتو وأ.لوتونو،المصدر السابق، ج3، ص 157.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ج3، ص 334:340.

- من يستعمل الحيلة قصد إثارة الشجار والفوضى داخل السوق يدفع ربع ريال، إذا لم تحدث الفوضى⁽¹⁾.

قرية آث فرَّاح:

- من يسرق اللحم من السوق يدفع 20 ريالاً إذا كان راشداً، وريالاً إذا كان قاصراً.
- من يخفي عن بيته شيئاً مسروقاً أو يشتريه أو يبيعه يدفع 50 ريالاً⁽²⁾.

قرية كُوكُو:

- يدفع سارق السوق غرامة 5 ريالات.
- من يصدر ويستعمل نقوداً مزورة عمدًا يدفع 25 دورو.

قرية جمعة صحاريج:

- تقدر غرامة السارق من السوق 12 دورو.
- من يبيع في السوق لحم حيوان مذبحه ذبحة مخالف للشرع يدفع 25 دورو غرامة⁽³⁾.

قرية ثورِيزْت عمران:

- من يخرج من السوق تاركاً وراءه غرامة مالية تتعدى ريال يدفع 60 سنتيمًا.
- من يتشاجر في السوق يدفع غرامة السوق مع ربع ريال لصالح القرية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - أ. هانونتو وأ. لوتوونو، المصدر السابق، ج 3، ص ص 379، 392.

⁽²⁾ - المصدر نفسه ، ج 3، ص 410 .

⁽³⁾ - المصدر نفسه ، ج 3، ص ص 419، 425.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه ، ج 3، ص 477 .

قرية ثوريرث عبد الله:

- من يحتجز شيء كرهن دين يوم السوق، أو في داخل السوق من طلوع الشمس إلى غروبها، يدفع 5 ريالات غرامات ويعيد الشيء الذي احتجزه⁽¹⁾.
- من يسرق شاة يدفع 10 ريالات خطية، ومن يسرق ثور يدفع 40 ريال، ومن يسرق بغلا يعطي 50 ريال، ورب البغل يأخذ منه ما شاء من ثمن البغل.
- من ضرب رجلا بالرصاص في السوق يقتل رجما بالحجر سواء مات المضروب أو جرح.
- من ينقص أو يسرق في المكاييل يلزم بدفع ربع ريال خطية، وبكسر المكيال على رأسه.
- من ارتكب جناية كبيرة في السوق يدفع من 50 إلى 100 ريال أو يقتل⁽²⁾.
- من رفع خصومة إلى العالم في السوق ثم تخلف عن الموعد ولم يحضر في الوقت يسقط حقه، ويرمى عليه الحكم إلا إذا أتى بحجة مقنعة⁽³⁾.

قرية أقوني نتسنلت:

- من يستعمل الحيلة داخل السوق لإثارة المشاكل والفرضي، يدفع نصف ريال إذا لم يحدث الاضطراب.
- من يشتري بضاعة مسروقة وهو على علم بأنها مسروقة، يدفع 12 فرنك⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - أ.هانونتو وأ.لوتونو المصدر السابق، ج3، ص 269.

⁽²⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 9.

⁽³⁾ - المصدر نفسه، ص 12.

⁽⁴⁾ - Jules liorel, op.cit, pp 325 - 330.

مجمل القول في هذا الفصل، أنه في ظل نقص الهياكل الاقتصادية في بلاد زواوة نتيجة لغياب السلطة المركزية خلال العهد العثماني، أصبحت تقربيا كل قبيلة تملك سوقا خاصا بها، تحمل تسمية مزدوجة بين اسم اليوم الذي تعقد فيه، واسم القبيلة التي تنتهي إليها. وكل سوق تنتظمهاتها وقوانينها الخاصة حسب أعراف كل قبيلة، يُشرف على تطبيقها مجموعة من الأشخاص تم اختيارهم من طرف "شاجماعيث"، مهمتها ضمان أمن واستقرار السوق، الذي حرست كل قبيلة على أن توفر له الحماية المتمثلة في العناية، كما حرست أن تختر له موقع مناسب يستجيب لاعتبارات لها علاقة بطبيعة المنطقة وسكانها.

الفصل الثاني:

الدور الاقتصادي للأسوق

تعاني بلاد زواوة من شح شديد في الموارد الاقتصادية، ما جعل عملية التبادل التجاري بين جهاتها المختلفة، وبينها وبين المناطق المحيطة بها مسألة في غاية الحيوية بالنسبة لسكانها. الأمر الذي أضفى أهمية كبيرة على الدور الذي كانت تلعبه الأسواق الأسبوعية في اقتصاديات هذه المنطقة، لذا سناحول فيما يلي تسلیط الأضواء على بعض الجوانب المتعلقة بهذا الدور.

المبحث الأول: الأنشطة الاقتصادية

تفتقـر منطقة زواوة كما هو معلوم للمساحات الصالحة للزراعة، وهو ما جعل أهلها يحرصون على تحسين وضعيتهم الاقتصادية، من خلال الاعتماد على كل إمكانياتهم المتوفرة لتعويض هذا النقص. فتمكنوا من استغلال الأرضي المتاحة لهم رغم قلتها، ولجأوا إلى ممارسة النشاطات الاقتصادية الأخرى منها الصناعة التقليدية والتجارة. وهو ما أدى بدوره إلى خلق حركة تجارية نشطة في الأسواق الأسبوعية لمنطقة.

فجل مظاهر الحياة الاقتصادية لبلاد زواوة تُجرى في أسواقها، فالسوق شيء ضروري من أجل شراء وبيع الماشية، وكذلك للتزود بالحبوب واللحوم والأقمشة خاصة وأن المحلات نادرة في القرى، إلا بعض البقالة الصغيرة⁽¹⁾.

1 - تسويق الفائض الفلاحي:

أدى الاستغلال الأمثل للنشاطات الاقتصادية المتنوعة، إلى زيادة في فائض الإنتاج المحلي، مما استوجب تسويقه في الأسواق. فعُدّت بذلك بلاد زواوة منطقة اقتصادية مفتوحة أمام المتعاملين التجاريين، الذين يُسوقون منتجاتهم الزراعية، خاصة تلك التي اشتهرت بها المنطقة، كالخضر المتمثلة في البصل والفلفل والطماطم، القرعة

⁽¹⁾ - C.A.O.M, 915-88, op.cit, p81

والفول⁽¹⁾، والفاواكه المشكلة من الرمان والكرום، المشمش والإجاص⁽²⁾ والتفاح، التين والجوز، البلوط والخروب⁽³⁾.

وتعد وفرة هذه المنتوجات إلى كثرة الأشجار المثمرة، وهو ما ذكره "الورثلاني" في رحلته "تزهه الأنظار". فمثلاً بلغ عدد أشجار الكروم "بزرفاوة" 507 شجرة، وفي "معاتقة" 15000⁽⁴⁾، والملحوظ أن منتوج الكروم متوفّر بكميات كبيرة بمختلف قرى المنطقة، خاصةً في كل من "آث مالك" و"آث سعيء" التي تبيعه في الأسواق المحلية، كسوق "الاثنين بفنية" و"الجمعة باش عزوز"⁽⁵⁾ وفي أسواق المدن، وهو ما أشار إليه "حمدان خوجة" في كتابه "المراة" قائلاً: "سكان القبائل... وبما أن الأشجار المثمرة كثيرة، فإنهم يحتفظون بثمارها ويبيعونها لسكان المدن في الأسواق".

وقد عرفت تجارة الفواكه المجففة كالعنبر والمشمش، رواجاً كبيراً في أسواق المنطقة، خاصة التين المجفف، لكونها الفاكهة الأكثر استهلاكاً من طرف السكان، فقد ذكر "حمدان خوجة" دائماً أنّ: "سكان القبائل يأكلون التين المجفف حتى ولو كانت لديهم فواكه أخرى..."⁽⁶⁾، لهذا كانت العديد من القبائل تبيع فائضها من هذا الإنتاج. مثل قبيلة "آث فراوسن" التي اشتهرت ببيعه بسوق "جمعة صهاريج"⁽⁷⁾ و"جمعة يسر"

⁽¹⁾ - محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 14.

⁽²⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 15.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 686.

⁽⁴⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 180.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, T1, p 121.

⁽⁶⁾ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 25.

⁽⁷⁾ - محمد جلاوي، أشعار شعبية من قبائل جرجرة "قراءة نقدية في كتاب هانوتو"، منشورات زرباب، الجزائر، 2001، ص 170.

حيث كان هذا الأخير مقصدا للقبائل المجاورة، التي تقوم بتسويق منتوجها من التين ⁽¹⁾.

وطبعاً أدى غنى المنطقة بأشجار التين إلى كثرة المنتوج، حيث نجد "آث واقنون" تمتلك حوالي 9000 شجرة، وآث جناد 7500 شجرة، و"زرفاوة" 1811 شجرة، و17419 "بمعاتقة"⁽²⁾، وقد تعددت أصنافها إلى 30 صنف ذكر منها: "أجنجار" وهو تين بنفسجي اللون، و"تعانيمث" الذي يميل إلى البياض⁽³⁾.

أما الفائض الزراعي الآخر الذي كان يتم تسويقه هو منتوج الزيتون، الذي كان يُشكل تجارة مرمرة خاصة لسكان المناطق التي تعتمد بزراعته بكثرة، حتى أصبح غرسه من عادة المجتمع الزواوي⁽⁴⁾. وما يؤكد ذلك هو انتشار أشجار الزيتون التي وصل عددها في "آث واقنون" بحوالي 8000 شجرة، و3000 "آث جناد" و6597 "بزرفاوة" و19133 "بمعاتقة"⁽⁵⁾، وتميزت ثماره بكبر حجمها حتى بلغت في بعض الأحيان حجم حبة الجوز. وقد أدت جودته العالية ووفرته الإنتاجية إلى تركز تجارته بقوة في منطقة زواوة أكثر من المناطق الأخرى⁽⁶⁾، إذ كان يتم بيعها كثمرة أو كزيت في

⁽¹⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 306.

⁽²⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 180.

⁽³⁾ - محمد جلاوي، المرجع السابق، ص 170.

⁽⁴⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 304.

⁽⁵⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 179.

⁽⁶⁾ - E.Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie tell. kabylie. sahara, Ed L.Hachette, Paris, 1853, p 170.

جميع الأسواق الداخلية⁽¹⁾، وهو ما ذكره "Rozet" (روزات) قائلاً بأن سكان زواوة كانوا قبل مجيء الفرنسيين يبيعون مادة الزيتون إلى dai مقابل 75 ريال للفنطار الواحد⁽²⁾.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، أن إزدهار هذا النوع من التجارة يعود بالدرجة الأولى إلى انتشار المعاصر في مختلف جهات المنطقة، فقد أشارت الإحصائيات التي أجريت مع بداية الاحتلال، أن "آث جناد" تمتلك 24 معاصرة، وآث فراوسن" 26 معاصرة، و72 "بزرفاوة" و13 "بازفون"⁽³⁾. لهذا نجد منتوج الزيت تعدّت تجارتة أسواق المنطقة، إلى أسواق الجزائر ودلس وقسنطينة، وأسواق الجنوب والغرب⁽⁴⁾، وذلك إما عن طريق الباعة المحليين المتجلبين⁽⁵⁾، أو عن طريق التجار الوافدين من مختلف مناطق البلاد، كما تعدى تسويقه إلى الأسواق الأوروبية عن طريق ميناء بجاية، الذي كان يصدر كميات معتبرة خلال الفترة الاستعمارية⁽⁶⁾، خاصة زيت قبائل "مزياته" وآث شامزالت، والقبائل التي تعيش على ضفاف "واد أقبو"⁽⁷⁾.

وكانت تتم طريقة نقل الزيت من مناطق الإنتاج إلى مناطق التسويق، عن طريق وضعه في جلود الماعز والأغنام، وعند وصولهم يفرغون الزيت في أواني فخارية كبيرة،

⁽¹⁾- E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 25.

⁽²⁾- M.Rozet, Voyage dans la régence D'Alger, ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, T2, Ed Arthus Bertrand, Paris, 1833, p 24.

⁽³⁾- زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 181.

⁽⁴⁾- أ.هانوت وـأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 1، ص 688.

⁽⁵⁾- انظر الملحق رقم 07، ص 110.

⁽⁶⁾- E.Carette, op.cit, T2, p 309.

⁽⁷⁾- Ibid, p286.

ثم يقاس بآداة قصديرية، وكان يبلغ سعر الإناء الواحد من الزيت ما بين 16 و18 ريال⁽¹⁾.

يمكن القول، أن تجارة الزيت ساعدت بشكل - في تحسين المستوى المعيشي للسكان، إذ يعتبر أهم مدخل للعديد من العائلات الزواوية، كما أنه ساهم في تشطيط الحركة التجارية لأسواق المنطقة، من خلال الاعتماد عليه في المبادرات التجارية. إلا أن هذا المنتوج عرف تراجعا مؤقتا في الفترة الاستعمارية، نتيجة لبيعه كمادة أولية للأوربيين، الذين أقاموا وحدات صناعية لمعالجته في كل من "الأربعاء ناث بيراثن"، و"بوغني" و"تيري ززو"⁽²⁾.

أما فيما يخص الحبوب، فان إنتاجها كان غير مكثف في جميع بلاد زواوة، وهو ما يفسّر عدم بيعه بكثرة في الأسواق، إلا أن هذا لا يستثنى وجود بعض القبائل فاق إنتاجها استهلاكها الذاتي، وكانت توجه جزء منه للتسويق. كقبيلة "آش واقنون" و"آش جناد" الواقعة في منطقة سهلية، مما ساعدتها في أن تكون مصدرا هاما لإنتاج القمح، كما اشتهرت في ذلك أيضا كلّ من "ترفاوة" و"معاتقة". أما الشعير فكان هو الآخر من إنتاج بعض القبائل منها قبيلة "تور" و"عمراء" و"آش محى الدين"⁽³⁾.

إلى جانب كل هذه المنتجات، اشتهرت أيضا المنطقة بإنتاج وتسويق بعض اللحوم والأدهان، والأسماك المصبرة بالعسل التي تملح وتحفظ في خواص فخارية⁽⁴⁾. إلا أن أهم مادة كانت تنتجهما هي العسل، الذي يُسوق بكميات كبيرة في الأسواق المحلية⁽⁵⁾. وتعد

⁽¹⁾ - E.Daumas, op.cit, p 24.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 688.

⁽³⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص ص 115، 179.

⁽⁴⁾ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 212.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, p 70.

وفرة هذا المنتوج إلى اهتمام السكان بتربية النحل، فمثلاً كانت "ترفاوة" وحدها تملك 275 خلية، و"آث جناد" 90 خلية، وقد ساعد على تسويق العسل بكثرة جودته العالية، وذلك لاعتماد النحل على مختلف الأزهار البرية بحكم قرب المنطقة من الغابات الكثيفة، إضافة إلى أزهار الأشجار المثمرة التي كانوا يغرسونها⁽¹⁾.

في الواقع، رغم توفر بلاد زواوة على كمية معتبرة من الفائض الفلاحي، والذي كان يُصرّف في أسواقها. إلا أن ذلك لم يكن كافياً للمجتمع الزواوي ليسدّ به كل حاجياته الضرورية. خاصة وأنّ هذا الفائض كان تقريباً مقتضاً على بعض المنتجات. مما جعله يلجأ إلى استغلال الصناعة، كمصدر رزق آخر.

2 - تصريف المنتجات الصناعية المحلية:

رغم نقص الموارد الأولية المتطلبة لتطور حرف الصناعة - بشكل عام - خاصة التعدين، إلا أنّ الفرد الزواوي بحكم تأقلمه مع أسلوب معيشته الصعبة، تمكّن من احتراف هذه المهنة، لتعويض نقص الأرضي الزراعي⁽²⁾. فاهتم بها وطورها بتأسيس ورشات صناعية مختلفة، حتى أصبحت مع مرور الوقت النشاط الأكثر ربحاً لأهل المنطقة، يجنون من ورائها أموالاً طائلة⁽³⁾.

وقد أدى اهتمام السكان بالصناعة، إلى انتعاشها وازدهارها بظهور فائض في الإنتاج، تطلب تصريفه في الأسواق المحلية، فكانت المنتجات الأكثر تسويقاً، الحلي الذي يصنع من النحاس والفضة، كالدبابيس والتيجان، والخواتم والخلخال (أساور توضع

⁽¹⁾ - شلوصر لفندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، د.ت، ص 96.

⁽²⁾ - M.Rozet et E.Carette, Algérie Etat Tripolitaine, 2^{ème} Ed, Bouslama, Tunis, p 28.

⁽³⁾ - M.Rozet, op.cit, p 24.

في القدم)، والقلائد المختلفة كالتي تحتوي كرات صغيرة مستديرة تضعها فقط النساء اللواتي أنجبن ذكورا. لكن الملاحظ في هذه المجوهرات، أنها لا تصنع من الذهب بتاتاً إذ أنّ هذا الأخير كان يُستخدم فقط في صناعة بعض النقود⁽¹⁾.

كما كان يتم تسويق الأواني المنزلية الخشبية والفارغة⁽²⁾ في معظم أسواق المنطقة، حيث كانت تتجهها العديد من القبائل كقبيلة "آش خليلي، وآش فراوسن، وآش ايراثن، وآش يني"، ومن بين هذه الأواني نجد: أَسَاقُومْ، أَشْمُوخْ، أَزْيَارْ، أَبُوقَالْ، ثَرِيُوتْ وَأَسْكُسُوتْ... وغيرها. وكان يكثر الطلب عليها من طرف التجار من مختلف مناطق البلاد، خاصة من تجار المدن⁽³⁾.

وما أثار لانتباه في المنتجات الصناعية المباعة، وجود الخراطيش والأسلحة بمختلف أنواعها، حيث كانت تباع علنا مثلها مثل باقي المنتجات⁽⁴⁾، خاصة البنادق الفضية والمرجانية⁽⁵⁾، التي وصفها "شلوصر" بأن طولها كان يتراوح من ستة إلى سبعة أقدام، لها ماسورة مثمنة لا مريعة الشكل ومقبضها يمتد من وسط الماسورة، وقاعدتها ذات زوايا مزينة بجواهر صغيرة ذات ألوان متعددة، أما الجهة السفلية فهي مغطاة بالنحاس⁽⁶⁾. وهي تباع بشكل مكثف في سوق "الخميس آش عباس"، بمقاطعة البيبان الذي يُعد من أكبر وأهم أسواق المنطقة، حيث تقصده تقربيا كل قبائل زواوة وأيضاً عدد كبير من قبائل العرب لشراء الأسلحة⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ - Jules liorel, op.cit, p 523.

⁽²⁾ - انظر الملحق رقم 08، ص 111.

⁽³⁾ - أ.هانوتتو أ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 1، ص 686.

⁽⁴⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 31.

⁽⁵⁾ - Jules liorel, op.cit, p 372.

⁽⁶⁾ - شلوصر لقندلين، المرجع السابق، ص ص 96-97.

⁽⁷⁾ - M.Rozet, op.cit, p 31.

كما عرفت الأسواق انتشار بيع الأدوات المستخدمة في الحياة العملية، كالفؤوس والمحاريث، وذلك راجع إلى اشتهر المنطقة بالحدادة، كقبيلة "إيجيتوسان" التي غزت منتجاتها الأسواق الداخلية والخارجية للمنطقة⁽¹⁾. ويتم الحصول على مادة الحديد من مناجم "معاتقة، وآث فراوسن"، حيث كانت توجد بهما ورشتان، وعشرة ورشات "جامعة صهاريج"⁽²⁾.

ومن الملفت أيضاً لانتباه، وجود تجار اختصوا ببيع النقود المزورة داخل هذه الأسواق. فقد ذكر "Jules liorel" (جولي ليورال) أنه قبل سنة 1875م كانت تعتبر صناعة النقود المزورة صناعة حقيقة ثمّارس في جميع بلاد زواوة، خفيةً عن أعين السلطة الحاكمة، فكانت قبيلة "آث يني" تحتل الصدارة في هذه الصناعة⁽³⁾. وتعتبر صناعة عملة ريال (boudjoux) الأكثر انتشاراً لما تحققه من أرباح جيدة، حيث كانت تُشترى بشكل كبير من طرف تجار الجزائر العاصمة⁽⁴⁾.

وتتابع "جولي" قوله في هذا الشأن، أنه رغم بيع النقود المزورة في الأسواق الزواوية، إلا أنه لم يكن يُسمح باستعمالها وتدالوها داخل المنطقة وأسواقها⁽⁵⁾، لهذا كان كل من يخالف ذلك، تفرض عليه غرامة مهما كانت نوع العملة المقلدة⁽⁶⁾، أما فيما يخصّ السلطة العثمانية فقد عارضت هذا النوع من التجارة التي كانت تُسوق سراً⁽⁷⁾، لما

⁽¹⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 180.

⁽²⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 265.

⁽³⁾ - Jules liorel, op.cit, p 524.

⁽⁴⁾ - E.Daumas, op.cit, p18.

⁽⁵⁾ - Jules liorel, op.cit, p 525.

⁽⁶⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 3، ص ص 163-164.

⁽⁷⁾ - المصدر نفسه، ج 1، ص 668.

ينجر عنها من خسائر مادية للسلطة والبلاد ككل، حتى أنها طلبت من قبيلة "آث نبي" التخلّي عن هذه الصناعة⁽¹⁾.

كانت تُسوق أيضًا في هذه الأسواق، الأحذية والسروج والأحزمة⁽²⁾، ومختلف الأنسجة كالأغطية المنتشرة في أسواق "آث فراوسن" و"آث واقفون"⁽³⁾، والألبسة المتنوعة منها ثيجلابين والبرانس، التي تباع بشكل خاص في سوق "الثلاثاء آث جليل" و"الاثنين فنية" و"السبت مزاللة"⁽⁴⁾. وتمثل هذه التجارة أهمية كبيرة لسكان المنطقة حيث يكثر عليها الطلب، إذ يُقبل العرب على شرائها عندما يرغبون في تجديد ثيابهم⁽⁵⁾.

ويوجد في السوق نوعين من الألبسة: نوع يصنع من أقمشة عاديّة يسمى "تيشلاخ" واحتضن فيه قبائل "آث واقفون" و"رقان"، ونوع آخر يصنع من قماش ذو نوعية رفيعة اشتهرت به "آنيراثن". ولكن هذا المنتوج يباع بشكل أقل مقارنةً بالمنتجات الأخرى، لأن صناعة الملابس تحتاج إلى رأس مال لا يقل عن 2000 فرنك، كون المادة الأولية نادرة ويتم استيرادها⁽⁶⁾.

إضافةً إلى ما سبق ذكره من منتجات، كان يتم تسويق الرحي المصنوعة من الحجارة⁽⁷⁾، والبارود والقرميد، الشمع والصابون، الذي يصنع من البوたس والكلس، والجلود المصبوغة المعالجة بالملح، التي تخصصت فيها "آث وإسيف" بشكل أكبر⁽⁸⁾،

⁽¹⁾ - Jules liorel, op.cit, p 525.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 689.

⁽³⁾ - مارمول كريخال، المرجع السابق، ج 3، ص 374.

⁽⁴⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 412.

⁽⁵⁾ - Ibid, T2, p 309.

⁽⁶⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 689.

⁽⁷⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 16.

⁽⁸⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 650-652.

فكان يتم تصدير هذه الجلود خاصة جلد الماعز إلى الأسواق الخارجية في الجزائر ودلس وسطيف⁽¹⁾.

3 - توفير الحاجيات المعيشية للسكان:

رغم ما تنتجه بلاد زواوة من خضر وفواكه ومواد مصنعة، إلا أنها تبقى دائماً لها تبعية للأسواق الخارجية في المواد التي تفتقر إليها، وحتى أحياناً في المواد التي تنتجها. وبالتالي في المنتجات الغذائية، بحكم أن النشاط الزراعي للمنطقة ضعيف مقارنة بالأنشطة الأخرى.

لهذا وفرت الأسواق المحلية عن طريق الاستيراد، أهم السلع التي يحتاجها أهل زواوة. حيث كانت تتم عملية الاستيراد من مناطق العرب، وذلك بالاعتماد على مقاييسه المنتوج المحلي، خاصة التي تشتهر بها المنطقة والمتمثلة في أربعة مواد أساسية هي: الزيت والمجوهرات والأسلحة والبرانيس، مقابل مختلف المواد التي يحتاجونها⁽²⁾.

ومن بين أهم المواد التي كانت المنطقة -عموماً- بحاجة إليها الحبوب⁽³⁾، وذلك لأن إنتاجها كان مقتصر على بعض القبائل فقط، "كآث واقنون" و"آث جناد"⁽⁴⁾. وكان يعتبر سوق "جمعة يسر" الذي يعقد بالقرب من "وادي يسر" و"وادي أورانيم"، وسوق "خميس آث شِيُوقْ" الذي يقع في عين روة، على "هضبة نراع القايد" حول "جبل مقرس"، من أكثر الأسواق التي توفر متطلبات السكان من منتوج القمح والشعير⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 25.

⁽²⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 309.

⁽³⁾ - Ibid,T1, p 221.

⁽⁴⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 115.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, T2, pp 286,309.

كما وتفتقر زواوة المنتجات الحيوانية⁽¹⁾، بسبب عدم اهتمام أهل المنطقة بتربية الماشي للغرض التجاري. ويمكن إرجاع ذلك إلى الصعوبة التي يواجهونها في الاحتفاظ بمواشיהם في فصل الشتاء، نظراً لنقص مادة العلف، لذا كان أغلبهم يضطرون لبيع ثيرانهم في الأسواق بعد انتهاءهم من الحرش، غير آبهين بالأرباح التي يتحصلون عليها، فالملهم عذهم بيعها تقادياً للإنفاق عليها⁽²⁾. وهذا ما يفسر توفر الأنعام والثيران، وكذا البغال المتوسطة الحجم والأحمراء⁽³⁾، وهو ما يدل على التبعية الدائمة للمناطق التي هي خارج حدودهم⁽⁴⁾.

وعليه كان أهل المنطقة يقتتون ما يحتاجونه من الثيران والبغال، من الأسواق التي اشتهرت ببيعها كسوق "الاثنين فنية" و"السبت مزالة"⁽⁵⁾. وكان يتم جلب هذه الحيوانات من مناطق "قالمة" و"قسنطينة"، التي يرتادها يومياً العديد من تجار قبائل زواوة، كقبائل "آث وغليس" و"آث يعلى"، و"آث ورثيلان".

كما كان يتم جلب الأغنام من المناطق الجنوبية، خاصة من الحضنة التي كانت أغnamها مطلوبة بكثرة، لأنها تتأقلم مع المحيط وتمتنى بسرعة باللحم وتتموأ أفضل من كل الأنواع التي تعيش في الجبال، ومن بين أهم الأسواق التي اشتهرت ببيع هذه الماشية سوق "الأحد مجانية" الذي يعقد في "برج بوعريريج".

ومن المواد المستوردة المباعة في الأسواق أيضاً، نجد الحناء والصوف⁽⁶⁾، والبلح

⁽¹⁾ - Martial Rémond, op.cit, p 55.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 1، ص ص 608، 622.

⁽³⁾ - C.A.O.M, 915-88,op,cit, p p 82-83.

⁽⁴⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتورنو، المصدر السابق، ج 1، ص ص 608، 622.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, T1, p 118.

⁽⁶⁾ - Ibid, T2, p p 303,308.

الحلو، الذي يكثر عليه الطلب في الأسواق لاستعماله الواسع كدقيق⁽¹⁾، والمواد الصناعية كالحديد والنحاس والرصاص والكبريت⁽²⁾. وكانت هذه السلع تأتي بشكل خاص من أسواق "بجاية"⁽³⁾، التي تعتبر من الأسواق المهمة التي تفضل الكثير من القبائل ارتياها⁽⁴⁾، إلا أن تعرض مدينة "بجاية" للإخضاع من طرف القوات الفرنسية في أواخر أكتوبر 1833م، أدى إلى توقف المعاملات التجارية بها، وظلت على هذه الحال إلى غاية سنة 1846م⁽⁵⁾.

عموماً تعتمد بلاد زواوة في الحصول على احتياجاتها الضرورية على الأسواق الخارجية، بالخصوص من أسواق المدن الكبرى، كالجزائر التي كانت أسواقها تمثل مركز جذب لتجار القبائل الزواوية، التي كانت تقصدها للتزود بمختلف السلع، ثم إعادة بيعها في الأسواق المحلية⁽⁶⁾.

4 - إتاحة موارد رزق جديدة.

ساهمت الأسواق في إتاحة مناصب عمل جديدة للعديد من أفراد المجتمع الزواوي، خاصة في ظل غياب مرافق الشغل، فكان من بين هذه المناصب كبير السوق الذي سبقت الإشارة إليه سابقاً، إذ كانت مهمته تمثل في الحفاظ على نظام السوق، بالسهر على توفير الأمن والسلم للوافدين. دون أن ننسى مهنة التاجر التي كان أغلب سكان زواوة يمارسونها، لما تدرّه من أرباح عليهم.

⁽¹⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1 ص ص 633-635.

⁽²⁾ - N.Robin, op.cit, p 202.

⁽³⁾ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 212.

⁽⁴⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 302

⁽⁵⁾ - أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 57.

⁽⁶⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p18.

أما المناصب الأخرى التي وفرها السوق، نجد منصب المحاسب الذي ساهم بشكل كبير في الحفاظ على نزاهة المعاملات التجارية، والبَرَاح الذين يتلقاضى أجراً من طرف التجار لجذب المشترين. إضافة إلى مهنة الكِيَال التي كانت وظيفته كيل المواد التي تباع بالكيل كالحبوب، الفاصوليا، الزيت... الخ، وكان يتحصل على مستحقاته بإعطائه جزء من المواد التي يكيّلها، أما كِيَال الزيت يتحصل أحياناً على الراتب نقداً⁽¹⁾.

وبهذا يكون السوق تمكن بالفعل من امتصاص جزء كبير من البطالة، التي كان يعاني منها السكان، نظراً لتضاريس المنطقة الصعبة التي كان يطغى عليها الطابع الجبلي، وهو ما أثر بشكل واضح في نشاطهم الاقتصادي اليومي. دون أن ننسى عدم اهتمام السلطة الحاكمة بالهيكل القاعدية للمنطقة من إنشاء ورعاية المؤسسات الاقتصادية، مما قد يخلق مناصب شغل لهم، فركزت جل اهتماماتها على الحاضر. فعوض بذلك السوق هذا النقص في إتاحة فرص للعديد من الأفراد في ممارسة مهن أخرى، كأعوان ومساعدي أمقران السوق إضافة إلى ما سبق ذكره.

المبحث الثاني: الضبط الاقتصادي

عرف السوق مظاهر اقتصادية مختلفة نتيجة لتنوع الأنشطة التجارية السائدة في المنطقة، فعكس لنا بذلك مجموعة من الخصوصيات التجارية التي انفرد بها أهل زواوة، خاصة ما يتعلق بالمعاملات التجارية. وهو ما سنحاول إبرازه في هذا المبحث.

1 - المقاييس والأوزان:

تختلف وحدات القياس في معظم أسواق زواوة حسب المنتجات، إذ لكل منتج وحدته الخاصة، وتتمثل هذه الوحدات فيما يلي:

⁽¹⁾ - أ. هانوتو وأ. لوتنرو، المصدر السابق، ج 2، ص 80 .

أ- وحدة وزن الحبوب والبقول: وهي "أَمْهَرَازْ" يستعمل في أغلب الأسواق، وهو مقسم إلى جزئين "سُنَاثْ ثُمَهَرَازِينْ"، وهي أكثر من ضعفي الديكالتر، وأَمُودْ الذي يقسم بدوره إلى نصفين "أَرْقَنْ أَمُودْ"، وهذا التقسيم حسب أقوال الزواويين، يعتمد على "أَمُود نبِي" أي "مكيال النبي" المستعمل في توزيع الزكاة، وكانت الأواني المستعملة لكييل الحبوب تسمى "ثِيَفَرَانِينْ" أي (الفلين) لأنها غالباً ما تكون من الفلين، ولكن بعد الاحتلال الفرنسي أصبحت وحدة قياس الحبوب هي الديكالتر.

ب- وحدة كيل الزيت: إن وحدة كيل الزيت كثيرة، ونفس التسميات تستخدم في مكاييل مختلفة حسب كل سوق، لكن الوحدة المستخدمة غالباً في بيع الزيت بالجملة هي "ثِسَغْرِيسَة"، أي ما يعادل حمل بغل، إلا أن هذا المقياس يختلف من قبيلة إلى أخرى، وبياع العسل والزبدة بنفس الوحدة حسب كل جهة.

ب- وحدة قياس الطول: يعتمد "إِغِيلْ" أي "الساعد" كوحدة لقياس الطول، يبدأ من نقطة المرفق إلى طرف أصبع الوسط، لكن هناك استثناء بشأن قياس قماش الكتان، فالساعد المسمى "إِغِيلْ" يصبح "إِغِيلْ أُوْحَكِي" ، ويمتد من نقطة المرفق إلى آخر طرف البنصر، وعادة ما يختار المشتري في حالة عدم رفض البائع، الرجل الذي يملك ساعدها كبيراً ليستعمله في إجراء القياس⁽¹⁾.

أما معايير الأوزان تقاس بما يعادل وحدة الكيلوغرام والرطل، فكانت هذه المقاييس على النحو التالي:

$$\text{أَمَهَرَاز} = 16 \text{ كغ.}$$

$$\text{أُورَاو} = 1 \text{ كغ}$$

$$\text{أَمُود} = 2 \text{ كغ.}$$

⁽¹⁾ - أ. هانوتو وأ. لوتوينو، المصدر السابق، ج 1، ص ص 696 - 698.

- رأبعة = 4 كغ.
- ثاقنوشت = 8 كغ⁽¹⁾.

وفيما يخص وحدة الرطل، ذكر "حمدان خوجة" أنه كانت توجد أربع أنواع من الرطل تستخدم في السوق خلال العهد العثماني أي قبل فترة الاحتلال، وهي الرطل الكبير الذي يزن حوالي 921 غرام، والرطل الحضاري الذي يستعمل بكثرة ويزن 614 غرام، والرطل العقاري والفضي⁽²⁾. وفي هذا الصدد قدم "هانوتو" نموذجين من هذا الوزن الذي يكاد يختفي في ذلك الوقت من قبيلة "آث يني" الذين كانوا مشهورين بصناعتها، هذه الوحدة التي لا يمكن الاعتماد عليها تماماً كمقاييس دقيق يعادل الرطل، وكانت العينة الأولى تزن 514 غرام، والثانية 538 غرام. ويعادل الرطل بالعملة النقدية 20 قطعة "دورو"، وهو ما يقابلـه 525 غرام وثمانية أعشار، أما وزن 100 رطل فيسمى قنطار.

أما قياس المساحات والأحجام فحسب "هانوتو" دائماً لم تكن معروفة لدى سكان زواوة، فهم كانوا يحسبون مساحات الأراضي الزراعية بواسطة المدة التي يستغرقها الرجال أو ثيران الحراثة في إنجاز العمل⁽³⁾.

2- تحديد الأسعار:

الأسعار في منطقة زواوة أغلبها غير معروفة وغير محددة في بعض الأسواق، لجهل أغلب السكان للقراءة والكتابة⁽⁴⁾، نظراً لقلة التعليم واقتصراته على فئة معينة، إضافة إلى قلة المؤسسات التعليمية التي كان أغلبها عبارة عن كتابيب مخصصة لحفظ

⁽¹⁾ - محمد أرزقي فراد، أزفون، ص 275.

⁽²⁾ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 24.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 699.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ج 1، ص 689.

القرآن⁽¹⁾، لذا كان في الغالب ما يُعلن عن الأسعار في بعض الأسواق بربط البائع لعقد في طرف لباسه، وكانت تمثل كل عقدة واحدة ريالاً، وعند كل ريال ثامن يضاف إليه خيط⁽²⁾.

وكانت الأسعار في أسواق زواوة لا تخضع للمراقبة الشديدة، حالها حال جميع أسواق الريف، وهو ما جعل بعض التجار يستغلون جهل المشترين في رفع سعر البضاعة، خاصة المشترين الذين يتواجدون من المناطق البعيدة، حيث يجهلون الأسعار الحقيقة المتدالة في الأسواق المحلية⁽³⁾.

والملاحظ أن ظاهرة المضاربة داخل الأسواق عرفت انتشاراً كبيراً، خاصة في منتوج الحبوب، إذ كان التجار يغتنمون فرصة هبوط أسعارها خارج أسواق منطقتهم لشرائها وتخزينها ثم عندما ترتفع أسعارها يتم إعادة بيعها بأسعار مرتفعة في أسواق المنطقة⁽⁴⁾، وللحذر من هذه الظاهرة ذكر "Carette" (كاريت) قيام بعض الأسواق بعادة غريبة، وهي منع التجار الأجانب الوافدين إلى السوق من البيع، في حين لهم الحق في شراء كل ما يرغبون فيه، مثل سوق "الاثنين أغرب" في "آث جناد"⁽⁵⁾.

وفيما يخص أسعار السلع، نجد أن المنتجات الحيوانية والزراعية تابع بأثمان زهيدة⁽⁶⁾، مقارنة بالمنتجات الأخرى، وحتى بالنسبة لبعض المنتجات الصناعية كالبنادق

⁽¹⁾ - محمد سي يوسف، نظام التعليم في بلاد الزواوة، ببايلة الجزائر خلال العهد العثماني (الحياة الفكرية في الولايات العربية)، ج 1، 1990، ص 193.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونزو، المصدر السابق، ج 1، ص 689.

⁽³⁾ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط 3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982، ص 157.

⁽⁴⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونزو، المصدر السابق، ج 1، ص 686 - 687.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, T1, p 152.

⁽⁶⁾ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 217.

التي يتراوح سعرها من 8 إلى 11 ريال⁽¹⁾، باستثناء البنادق الفضية المرصعة بالمرجان كان يبلغ سعرها 400 فرنك⁽²⁾، والخراطيش التي يبلغ متوسط سعر الكريتوشة الواحدة 40 سنتيم⁽³⁾. في حين كانت أسعار ثيران الحراثة مرتفعة قليلة حيث تراوحت مابين 400 إلى 500 فرنك، وهو ما دفع بالسكان إلى بيع ثيرانهم التي لم يعودوا بحاجة لها في الأسواق كسوق "حمزة" و"يسر"، وذلك لما توفره من أرباح مالية معتبرة⁽⁴⁾، ويبلغ سعر جلد الثور من 25 إلى 30 فرنك، وسعر جلد الماعز من 3 إلى 4 فرنك⁽⁵⁾.

أما أسعار الحلي فهي تتغير دائماً، فأحياناً تكون مرتفعة وأحياناً منخفضة⁽⁶⁾. وتختلف هذه الأسعار من سوق إلى آخر، حسب العرض والطلب والمادة التي صنعت منها، وأيضاً حسب قيمة العملة المتداولة التي قد تزداد قيمتها أو تنقص، أو لظروف أخرى⁽⁷⁾.

3 - أشكال التبادل التجاري:

عرفت أسواق منطقة القبائل عدة أشكال من التعاملات التجارية التي كان للوسطاء التجاريين دور في تنشيطها، وكان من أبرز هذه التعاملات:

⁽¹⁾ - محمد جلاوي، المرجع السابق، ص 128.

⁽²⁾ - Jules liorel, op.cit, p 372.

⁽³⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 31.

⁽⁴⁾ - أ.هانوت و.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 608.

⁽⁵⁾ - المصدر نفسه، ج 1، ص 652.

⁽⁶⁾ - Jules liorel, op.cit, p 523.

⁽⁷⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 185.

أ- التبادل النقدي:

رغم احتراف سكان زواوة صناعة الفضة وسك العملة بما فيها المزورة، والتي كان إصدارها مسموح به باتجاه الخارج وممنوع في الداخل، خاصة في كل من قبيلة "أليلولة" وآث يني¹، التي كانت تصنعها وتبيعها حسب طلبية المشتري، إلا أن المنطقة لم تحاول تأسيس سكة⁽²⁾ محلية خاصة بها⁽³⁾، لذا كانت العملة المتداولة في أسواق بلاد زواوة مثلها مثل باقي مناطق الجزائر، عبارة عن نقود معدنية تتمثل في "المصون" وهي قطعة صغيرة من الفضة، ينقسم فيها المصون إلى 29 "إسبيروس" وهو قطعة من المعدن تشبه الصفيح⁽⁴⁾. وكانت هذه النقود تتمثل في ثلاثة أنواع:

العملة الذهبية وتمثل في السلطاني ونصفه وربعه، والمحبوب ونصفه وربعه، العملة الفضية وهي الدورو الجزائري، وريال بوجو وريال درهم ونصف ريال درهم والموزونة، العملة النحاسية وهي الصائمة وريال بسيطة⁽⁵⁾.

⁽¹⁾- أ.هانوت وـأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 3، ص 164.

⁽²⁾- السكة: هي العملة المضروبة والمطبوعة بالحديد المعلمـة في القالب الذي تصب فيه العملات النقدية. أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيـرـوت، 1996، ص 172.

⁽³⁾- أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 152.

⁽⁴⁾- وليام شالر، المصدر السابق، ص 260.

⁽⁵⁾- مؤيد محمود حمد المشهداني، «أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)»، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، العدد 16، أبريل، 2013، ص 424.

وكان من أهم العملات المتداولة في أسواق المنطقة الدورو الإسباني، والفرنك الفرنسي⁽¹⁾، إضافة إلى العملة الزيانية التلمسانية والدينار الحفصي⁽²⁾. إلا أن العملة التقديمة المعروفة والمستخدمة بكثرة هي ريال خلال العهد العثماني، والفرنك الفرنسي في الفترة الاستعمارية⁽³⁾، وهي العملات التي أشارت إليها الكثير من المصادر مثل "هانوتو" في كتاباته عن المنطقة، وأيضاً من خلال ما ذكره مؤلف مخطوط **"كيفية سيرة زواوة"** في الجزء المتعلق بقيمة دفع الخطايا "الغرامات" في السوق.

لكن أدى التغير المستمر للعملة خلال الفترة العثمانية في سنواته الأخيرة، إلى نقص قيمتها وترزع مصداقيتها في التعامل التجاري⁽⁴⁾، كما أدى تزوير العملة من طرف بعض سكان المنطقة، إلى تخوف المتعاملين التجاريين من استخدام العملات المزورة المتداولة في أسواقهم، مما جعلهم يفضلون التعامل بأسلوب المقايضة⁽⁵⁾ والاستغناء عن النقد في بعض السلع والمنتجات، لتسهيل عملية التبادل كالمواشي⁽⁶⁾.

ب - المقايضة:

أخذ النشاط التجاري في منطقة زواوة طابع المقايضة المكرّس في الأعراف القديمة، الذي تحكمت فيه نوعية الإنتاج، وحاجة المجتمع المحلي إلى مختلف المواد

⁽¹⁾ - محمد العربي الزيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية، الجزائر، 1975، ص 155.

⁽²⁾ - أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 153.

⁽³⁾ - أحمد جلاوي، المرجع السابق، ص 164.

⁽⁴⁾ - بن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974، ص 111.

⁽⁵⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 16.

⁽⁶⁾ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 213.

الأساسية⁽¹⁾، لذا كان يفضل الرجل الزواوي هذا الأسلوب على البيع بالنقود. إذ يقوم بمبادلة سلعة أخرى تكون غير متوفرة بكثرة في منطقته، فيعيد بيعها بضعف ثمنها الأصلي من أجل تحصيل أرباح كبيرة⁽²⁾، كمبادرة طوبة من التين بالطعام، أو مبادلة الملح بالزيت أو بالطعام، ويقصد بالطعام القمح والشعير، لأن المنطقة تعرف انخفاضاً لهذا المنتج لطبيعتها الجبلية⁽³⁾.

وعلى هذا الأساس، كانت أغلب المعاملات التجارية السائدة في أسواق زواوة تعتمد على اقتصاد المقايضة التقليدي، وتبادل المواد المنتجة محلياً، خاصة ثمار الفواكه والزيت بالمواد المستوردة كالحبوب وفي مقدمتها القمح⁽⁴⁾، والصوف والحناء والتمور، التي كانت تأتي من أسواق بوسعداء⁽⁵⁾.

ونظراً لاعتماد الفواكه كمادة أساسية في التبادل، حرص السكان على غرس الأشجار المثمرة تبعاً للفصول، سعياً منهم للحصول على فائض يقايسونه بإنتاج آخر في الأسواق المحلية⁽⁶⁾، بالخصوص في الأسواق التي كانت معروفة باستخدام أسلوب المقايضة في تعاملاتها التجارية، كسوق "الاثنين آث جناد" وسوق "الجمعة آث عزوز" التابعين لاتحادية زرفاوة بمقاطعة "أزفون"، حيث كانت تتم فيهما تبادلات للمنتجات الرئيسية: كالقمح والشعير والفول والزيت والتين، مع الأسواق المجاورة لها كسوق "آث تور" القريب من دلس⁽⁷⁾، وسوق "الجمعة الصحاريج"، و"آث فراوسن"، و"الثلاثاء آث

⁽¹⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص ص 120-121.

⁽²⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 1، ص 689.

⁽³⁾ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص ص 204-207.

⁽⁴⁾ - أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 155.

⁽⁵⁾ - E.Carette, op.cit, T2, p 303

⁽⁶⁾ - زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 117.

⁽⁷⁾ - E.Carette, op.cit, T1, p 136.

يراثن" ، وسوق "الاثنين آث واقنون" مقابل المواشي والبغال⁽¹⁾. أوفي أسواق المدينة حيث ينتهزون فرصة تواجدهم بالمدن لمقايضة منتجاتهم بمنتجات أخرى كمقايضة الفواكه بالصوف⁽²⁾.

وقد عرفت منطقة زواوة وبالتحديد إمارة "كوكو" وآث عباس" ، نوعا من التجارة الداخلية التي عرفت انتشارا واسعا في أسواق المنطقة، وتقوم هذه التجارة على مبادلة الزيت والتين والخروب بالأملاح التي يحضرها سكان الشطوط، وبالقمح والشعير الذي يجلبه سكان السهول إلى المنطقة⁽³⁾.

يم إن سكان زواوة -عموما- كانوا يفضلون التعامل بأسلوب المقايضة ، لما فيه من مصلحة تجارية، وذلك من خلال تمكّنهم من تصريف فائضهم الإنتاجي، مقابل سلعة لا تتوفر لديهم وهم بحاجة إليها⁽⁴⁾. وقد أدى هذا النوع من التعامل التجاري، إلى ظهور أسواق اختصت واشتهرت باحتضانها لأسلوب المقايضة، كسوق آث عباس" الذي يعتبر أكبر سوق تتم فيه المبادلات التجارية بالمقايضة، حيث تلتقي فيه القبائل الشمالية بالجنوبية فتبادرل منتجاتها، حتى أنها كانت تصل أحيانا إلى السودان عن طريق القبائل الطرقية⁽⁵⁾.

⁽¹⁾- E.Carette, op.cit, T1, p 152.

⁽²⁾- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 207.

⁽³⁾- Bouaziz.y, le monde Rurale Maghrébin communication et stratification du social, université d'Oran, la boratoire d'histoire et de cireilisation du Maghreb, T2, O.P.U, Oran, Novembre 1983, pp 26-28.

⁽⁴⁾- Magali Zurcher,la pacification et l'organisation de la kabylie orientale de 1838 à 187,T1, Ed les belles lettres, paris, 1948, p 34.

⁽⁵⁾- أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 239

ج- الوسطاء التجاريين:

تبأ الوسطاء التجاريون مركزاً مميزاً داخل السوق لـ إسهامهم الكبير في تنشيط وإنعاش المبادرات التجارية، وهم ينقسمون إلى فئتين:

الفئة الأولى: تشمل إبراهنائي "البراون"، الذين ينادون على السلع في الأسواق لجذب المشترين، غالباً ما يستعملون مصطلحات وألفاظاً إغرائية، لإظهار جودة السلعة وأهميتها، وكانوا يتقاضون أجوراً مقابل خدماتهم.

الفئة الثانية: يمثلها السمسرة⁽¹⁾ الذين يلعبون دور الوسيط بين التجار في ما يتباينونه فيما بينهم، أو يبيعونه إلى المشتري، وقد أشارت النصوص التاريخية أن بعضهم يلتجأ إلى اختيار إحدى زوايا السوق لمباشرة أعمالهم باستقبال التجار خاصة الغرباء الذين يعتمدون عليهم في تصريف سلعهم. ومنهم أيضاً سمسرة طواوفون وهم في الغالب غير مرتبطين بسوق معين بل يترددون على مختلف الأسواق⁽²⁾، وهذا راجع إلى تعذر حصول التجار على رخصة التنقل إلى الأسواق التابعة للقبائل الخاضعة لحكومة الإيالة بسبب رفضها لدفع الضرائب⁽³⁾.

4- أنواع البيوع:

عرفت أسواق منطقة زواوة في الفترة المدروسة، انتشار مختلف أنواع البيوع التي أقرها العرف رغم ما فيها من إجحاف في المصلحة العامة، وأغلب هذه البيوع يلفها الغموض وتفتقر إلى الضوابط الدقيقة التي تحمي مصالح الطرفين منها:

⁽¹⁾- السمسرة: جمع مفردها سمسار وهو الوسيط التجاري، اللفظ فارسي "سیسار" ثم انتقل إلى الآرامية "سفسراً" ومنها إلى العربية "سمسار"، ثم انتقل اللفظ إلى اللغات الأجنبية "senaal" ، انظر: سيرجيد هونكه، شمس الله تشرق على الغرب، ترجمة وتحقيق فؤاد حسنين علي، ط2، دار العالم العربي، القاهرة، 2011، ص 476.

⁽²⁾- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 209.

⁽³⁾- زين الدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 128.

أ- بيع المحاكرة: هو بيع مجهول بمجهول، كبيع كيس قمح بكيس آخر لا يعرف كيله، أو بيع سلعة بسلعة أخرى من نوع مختلف كبيع حيوان باللحم.

ب- بيع الملامسة: وهو أن يكتفي المشتري بلمس سلعة كالثوب دون نشره ليتبين ما فيه⁽¹⁾.

ج- بيع المنايذة: وهو أن يتبادل شخصين سلعتين دون يعرف أحدهما بجودة بضاعة الآخر.

د- بيع الغر: وهو بيع الشمار قبل صلاحتها، والحب قبل اشتداذه ونضجه.

ه- بيع العينة: وهو بيع ما ليس عند البائع، يلتتجئ إلى هذا البيع من هو بحاجة إلى المال، فيشتري سلعة لا لأنه يريد لها، بل لبيعها بالمال الذي هو محتاج إليه.

و- البيع الجاف: هو البيع بالتقدير، لا بالوزن أو الكيل أو العدد، كالحب مكoma على الأرض في كيس، أو الزيت في صهريج.

ي- بيع العربون: وهو دفع جزء من ثمن السلعة المراد شراءها للبائع مسبقاً، وفي حالة تركها لا يرجع البائع المال للمشتري.

ع - بيع المصاراة: وهو ترك حليب الشاة أو البقرة ليعظم ضررعاها لتبدوا للمشتري على أنها حلو⁽²⁾.

وكلها بيع منهي عنها في الشريعة الإسلامية، كما أن بعض القوانين العرفية لبعض الأسواق أباحت التعامل بالربا، رغم منع الإسلام لهذا البيع، لما ينجر عنه من مشاكل

⁽¹⁾- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 134.

⁽²⁾- أبو بكر جابر الجزائري، منهج المسلم، ط4، دار السلام، مصر، د.ت، ص ص 286-288.

اقتصادية واجتماعية، كقبيلة "آث فرح" بعرش آث يراثن ، وعرش "آث دوالة" التي عرفت أسوقها هذا النوع من البيع⁽¹⁾.

وزيدة القول أن السوق لعب في بلاد زواوة دورا اقتصاديا هاما، من خلال ما قدّمه للمجتمع المحلي من ضروريات الحياة، من منتجات محلية ومستوردة، وجهت إما للاستهلاك المحلي، أو للتصدير نحو الخارج، خاصة إلى أسواق المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة. حيث تصدرت المنتجات التي اشتهرت بها المنطقة قائمة صادراتها، حتى أضحت البعض منها أهم ما ميّزها اقتصاديا عن باقي مناطق البلاد. كما قدم السوق صورة واضحة عن النشاطات والمعاملات التجارية التي كانت موجودة في الفترة المدروسة، والتي كان من أهمها إتباع أسلوب المقايسة، الذي أصبح أساس التعامل التجاري لسكان المنطقة، مما أسهم في تنشيط الحركة التجارية، التي أدت بدورها إلى اعتماد التجار بشكل واسع على بعض أشكال البيوع التي حرمها الإسلام، دون النظر إلى ما ينجر عنها من أضرار على الفرد والمجتمع.

⁽¹⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 135 .

الفصل الثالث:

الدور الاجتماعي للأسوق

بحكم الأهمية التي أولاها المجتمع الزواوي للسوق منذ نشأته تعددت وظائفه، فبغض النظر عن دوره الاقتصادي، كان فضاء حيويا تلتقي فيه مختلف الفئات الاجتماعية الأغنياء و الفقراء من "فلاحين وباعة متجلين وحرفيين ومرباطين ..."، مشكلا بذلك مظاهر اجتماعية متعددة فيها ألوان التواصل والتدخل الإنساني.

وهكذا، فإن النظر إلى السوق في بلاد زواوة على أنه نسق لتبادل السلع والخدمات، أي من منظور اقتصادي بحت، يغفل المضمون الاجتماعي والثقافي الذي عمل السوق على تحقيقه، ولا يساعد على الكشف عما يؤديه من أدوار اجتماعية متعددة.

وعليه كان من الضروري من هذا المنطلق دراسة السوق من مختلف جوانبه الاجتماعية، من أجل التعرف على العلاقات الاجتماعية التي كانت تجمع سكان المنطقة ببعضهم البعض آنذاك كمجموعات وأفراد، والتي ترتكز على اعتبارات اجتماعية كان للسوق دور في إبرازها وتطويرها وضبطها. وهو ما سنحاول تسلیط الضوء عليه فيما يأتي:

المبحث الأول: الفضاءات الاجتماعية للسوق

شكل السوق للمجتمع الزواوي مرکزا هاما لممارسة نشاطاته الحياتية المتعددة، من مناسبات وعادات اجتماعية خاصة في الفترة الاستعمارية، حيث تعرضت المنطقة إلى مراقبة شديدة لتضييق الخناق عليها، بغية تحطيم بنيتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. مما جعل السوق يشغل مجموعة من الفضاءات كان أهمها:

1 - التواصل وتبادل المعلومات:

تعتبر عملية الاتصال من أهم العوامل المساعدة على فهم وتحليل الظاهرة الاجتماعية لأي مجتمع من المجتمعات القروية، بما فيها المجتمع الزواوي. هذا المجتمع الذي كان يمثل له السوق الفضاء الحيوي الناقل للسلوك والخبرات، من مصدر الإرسال إلى وجهة

تستقبل المعلومات والأفكار المرسلة⁽¹⁾. ليكون بذلك السوق تلك القناة التقليدية الرابطة بين مختلف فئات هذا المجتمع، من خلالها يتمكن من إنتاج واستهلاك الأفكار والآراء، والاندماج في الممارسات والعادات.

ومن هذا المنظور شكل السوق أهميةً كبرى لفرد الزواوي، فهو بالنسبة له كالهواء الذي يستنشقه، وهو أمر ضروري له حتى لو لم يكن من أجل تلبية حاجاته الاقتصادية، بل بغرض تعزيز وتفعيل تواصله بالأقارب والأصدقاء المتوفدين من القرى والقبائل المجاورة، لمعرفة أخبارهم وأخبار العائدين من السفر، والاطلاع على الآراء المختلفة حول مواضيع تهمه⁽²⁾.

ففي كل أسبوع من صباح يوم انعقاد السوق يجتمع كل الرجال من أجل التسوق، ولا يجب تفويت هذا الحدث الإستثنائي التقليدي إلا لأسباب حتمية⁽³⁾، فمن خلاله تحدث عملية الاتصال التي تفرز نوعاً من التفاعل والتعايش الاجتماعي، والمشاركة في المعرفة البشرية، والاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية وتدعوا لها الأغراض الحياتية والمعيشية لفرد والجماعة⁽⁴⁾.

ويمكن ملاحظة درجة أهمية السوق في الحياة الاتصالية للزواويين، أن أصبحت أيام السوق بمثابة رزなمة لتحديد المواقف والمواعيد بين الأشخاص، فيقول شخص آخر

⁽¹⁾- نسمة طليب، الابعد الأسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر، دراسة سيمبولوجية لعينة من الطقوس الاحتفالية في "بني معوش" بجاية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 03، 2010 - 2011، ص 57.

⁽²⁾- أ. هانوتو وأ. لوبيونو، المصدر السابق، ج 2، ص ص 78 - 79.

⁽³⁾- C.A.O.M. 915-88, op cit, p 81

⁽⁴⁾- أحمد محمد معنوق، الحصيلة اللغوية "أهميةها- مصادرها- وسائل تمتينها"، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 72.

"أنمليل أنس نتسويقث" أي (نلتقي يوم السوق) أو يخبره "لفلان يموثنتسويقتإعدان" أي (فلان مات يوم السوق الفائد)⁽¹⁾.

وبما أن السوق شكلَ الوسيلة الشعبية الوحيدة للالتقاء، كان من الطبيعي أن تُعقد فيه اجتماعات دورية، يتم فيها تناول الحقائق والأخبار المتعلقة بمختلف المجالات⁽²⁾، حتى أصبح يُمثل تقليداً راسخاً للحصول على آخر المستجدات المتعلقة بالقبائل والأعراس، والبلاد كل⁽³⁾، لهذا عندما تقع أمور طارئة تستدعي الاجتماع، يقوم رؤساء القبائل بتبلیغ وتأکید أمرالحضور في الأسواق، بعد تكليف البراح الخاص بالسوق لإبلاغ الناس بيوم الاجتماع⁽⁴⁾. ثم مناقشتها في مجلس ثجماعت التي تجتمع في مساء يوم انعقاد السوق أو في اليوم الموالي له، حتى تُتاح لها فرصة مناقشة هذه الأحداث⁽⁵⁾.

وقد جرت العادة أن تُعقد كل قرية اجتماعاتها في اليوم الموالي للسوق الأسبوعي الخاص بها، والذي يختلف من قرية إلى أخرى، فمثلاً يوم السبت يكون السوق في "آثيحي" "بعين الحمام"، والأحد "بآث بوشعایب" والاثنين "بآث جناد" ...الخ⁽⁶⁾.

هذا وقد لعب السوق في المجتمع الزواوي دوراً هاماً في الاتصال الثقافي، الذي فتح مجالات متعددة للتفكير والإبداع أمام الفرد، الذي استطاع بفضله إثراء الذاكرة الجماعية، من خلال الأدب والشعر الشعبي الشفهي، الغناء والموسيقى الشعبية.

⁽¹⁾- رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدي في منطقة القبائل، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 173

⁽²⁾- Jules liorel, op.cit, p 342.

⁽³⁾- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1830-1791)، ط.خ.م، البصائر، الجزائر، 2013، ص 285.

⁽⁴⁾- رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص ص 173 - 174 .

⁽⁵⁾- Magali Zurcher, po.cit, p 16.

⁽⁶⁾- جمال كركار، المرجع السابق، ص 147 .

وعلى هذا الأساس، كان السوق بمثابة منتدى ثقافي فني يضم مجموعة من المنتجين والمرسلين للثقافة الشعبية، وهم "إمديازن" أي الشعراء الذين يعبرون عن مواهبهم وخيالاتهم في الهواء الطلق، في حلقات شعرية يعرضون فيها أشعاراً تتناول الواقع الاجتماعي المعاش للسكان⁽¹⁾، منها قصائد الزواج والطلاق، الحياة والموت، الشرف والتضحية، الفقر والبؤس، مواضيع الحلال والحرام، الجنة والنار وغيرها من المواضيع. دون أن ننسى فئة "إمسناون" أي الحكماء ذوي الفطنة وال بصيرة النافذة، الذين يشاركون الناس تجاربهم بـإلقائها في قالب من الأمثال والحكم، ويحتل هذا النوع من الحكم مكانة خاصة في حياة زواوة، لما تحمله من استخلاص للعاقبة بعد استشراف المستقبل⁽²⁾.

كما برزت أهمية السوق أيضاً، كميدان لاحتواء الظاهرة الشعرية خلال الحقبة الاستعمارية، خاصة أثناء ظهور المقاومة الشعبية كمقاومة "الشيخ المقراني" (1871)، حيث أصبح مقصدًا للشعراء ينظمون فيه القصائد والأشعار المستكرة للاحتلال والممجدة للمقاومة، مقدمين بذلك دعماً قوياً لزعيمها من خلال التعريف والإشمار بمقاومتهم، وانضمام الكثير من الشباب إليها، وكانت هذه الأشعار تلقى علينا في السوق بصيغة مباشرة وأحياناً بصيغة غير مباشرة⁽³⁾.

وبعد هذا النوع من الفن ظاهرة لها قيمة تاريخية وأدبية واتصالية، حتى أنه صُنف الشاعر في المجتمع الزواوي ضمن فئة الحكماء أو "إحداذن بوال"، أي الذين يمتلكون كفاءة التقنن في إنتاج الرموز⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 157.

⁽²⁾- رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 206.

⁽³⁾- Malha Ben Brahim, Poésie populaire Kabyle et la résistance à la colonisation de 1830 à 1962, T1, Paris, 1982, pp 35-38.

⁽⁴⁾- رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 204 - 205.

إضافة إلى فئة الشعراء، نجد "إمداحن" الذين ينتقلون بين زوايا الأسواق ويقصون على الحاضرين أنواعا من الأقاصيص الاجتماعية والدينية والتجارية⁽¹⁾، ويرددون مجموعة من الأشعار التي تكون في بعض الأحيان إما من إنتاجهم أو من إنتاج كبار الشعراء في المنطقة أمثال "سي مهدن أو مهدن" و"يوسف أوقاسي" وغيرهم، كما ينشرون رسائلهم ورسائل غيرهم، ويقومون بعملية إخبار الناس بالمراسيم والقوانين التي كانت تصدرها السلطة، لتكون بذلك هذه الفئة قد لعبت دورا إتصاليا واضحا في جوانب اجتماعية، ودينية، وسياسية، متذكرة الأسواق أداة في ذلك⁽²⁾.

لهذا يمكن اعتبار السوق ذلك الفضاء الذي يجلب المتعة للفرد الزواوي من خلال الاجتماع بالأصدقاء ومعرفة آخر أخبارهم، فقضاء الأوقات فيه كفيلة بأن تُكسر رتابة الأعمال اليومية، خاصة وأن الفرد الزواوي مقيد طيلة الأسبوع بالأعمال الشاقة بالخصوص الزراعية، لذا تعتبر ساعات التسوق بالنسبة له ساعات من الاسترخاء والسعادة، وتغيير جو الحياة اليومية المعتادة المنهكة⁽³⁾.

أما الدور الإتصالي الآخر الذي تمكّن السوق من تحقيقه كان الاتصال السياسي، الذي سمح للقرويين معرفة العديد من الحقائق المتعلقة بالحياة السياسية، فمن خلاله كان يتم الاتصال بزعماء المقاومة إما مباشرةً أو عن طريق أتباعهم، حيث يتم تبادل آخر التطورات المتعلقة بالأوضاع الأمنية وأخبار منع السفر على بعض المناطق، نتيجة لسوء الأوضاع الأمنية، وآخر التطورات التي أفرزتها الثورات والمقاومات الشعبية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشّرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 - 1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 64.

⁽²⁾- رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 209-212.

⁽³⁾- C.A.O.M. 915-88, op cit, pp 81-82.

⁽⁴⁾- Liorel Jules, op.cit, p 342.

كما كان السوق في نفس الوقت، وسيلة حاولت من خلاله الإدارة العثمانية والاستعمارية خلق وساطة بينها وبين الرعية، وذلك بربط الصلة مع ممثلي الجماعات والقبائل⁽¹⁾ تحت إشراف القايد، الذي كانت مهمته إصدار الأوامر العامة داخل السوق التي تعقد في المناطق الخاضعة له⁽²⁾، لفرض نفوذها على التجمعات السكنية في القرى التي تقصد هذه الأسواق⁽³⁾، وذلك بعدها استعصى عليها إخضاع المنطقة نتيجة لطبيعة السكان، وحبهم للحرية وتشبثهم بالأرض.

ولتحقيق وتفعيل هذا الاتصال، كان العثمانيون يقومون بتعيين ممثلي لهم من كل قبيلة، لإجراء اتصالات وعلاقات مع الرعية في السوق لمراقبتها ومعرفة تحركاتها، خاصة أنه كان يُعلن عن التمردات والثورات في كثير من الأحيان في هذه الأسواق⁽⁴⁾، مما سمح للإدارة العثمانية تحقيق بعض الأهداف السياسية والاقتصادية من خلالها، وذلك بإخضاع القبائل الجبلية الممتعة واستخلاص الضرائب منها⁽⁵⁾، ولو أن بعض هذه الضرائب في حد ذاتها بسيطة، ولكنها في نظر السلطة رمزاً للتبعية⁽⁶⁾.

ولكن هناك بعض القبائل رفضت الخضوع للسلطة، فكان بمجرد ما تعلن قبيلة ما عن تمردتها على الحاكم وإعلانها الثورة، توزع السلطة مناشير في جميع أسواق المنطقة، ويُعلن

⁽¹⁾ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، ص 285.

⁽²⁾ - نبيل بومولة، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن 10هـ / 16م "بني عباس نموذجاً"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 35.

⁽³⁾ - ناصر الدين سعيدوني، التجارة الخارجية، ص 38.

⁽⁴⁾ - P.Boyer, l'évolution de l'Algérie médiane, Paris, 1960, pp 48 -50.

⁽⁵⁾ - أرقى شويتم، المرجع السابق، ص 254.

⁽⁶⁾ - محدث أكلي آيت سوكي، إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري/19-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2014-2015، ص 57.

أن المتمردين في حالة خروج عن القانون فيمنع عليهم دخول الأسواق، وإذا حضر أحدهم ودخل السوق يقبض عليه وتحجز أملاكه ويلقى في السجن.

وقد سمح هذا النوع من الاتصال داخل الأسواق، بين السلطة والأهالي بنجاح هذا الأسلوب الذي كان يُطبق بحزم وجدية، مما أدى ببعض المتمردين للخضوع إلى السلطة، لأن هذه الأسواق لا تسمح فقط بتسويق منتجاتهم بل هي كذلك ضرورة ملحة لغايات اجتماعية⁽¹⁾، وبالتالي كانت بعض القبائل الممتنعة تضطر إلى مراسلة الآغا في مدينة "الجزائر" من أجل الحصول على ترخيص التنقل إلى الأسواق بعد دفعها غرامات مالية تقدر بحوالي 600 ريال بوجو⁽²⁾.

2- الاستفسار عن المسائل الدينية:

كان للدين دورا فعالا في المجتمع الريفي، ما أكسب الشخصيات الدينية موقعًا مؤثرا بحيث شكلت المرجعية الأساسية للسكان، الذين كانوا يستشرونهم في المسائل الفقهية المتصلة بمختلف شؤون حياتهم اليومية⁽³⁾. لم يكن المجتمع الزواوي -باعتباره مجتمعا ريفيا بامتياز- بداعا في هذا الشأن، إذ امتد الدين (الإسلامي) عبر مختلف تضاعيف حياته الاجتماعية، وصبح شتى مؤسساته بما في ذلك مؤسسة السوق.

وهذا أدى إلى تعلق الناس أكثر بالأسواق، حتى أصبح ارتياحها يعتبر حدث ينتظره الأفراد بشغف، فهو يعد بالنسبة لهم مناسبة ضرورية لا يمكن تفوتها لاستفسار رجل الدين أو الإمام - الذي غالبا ما كان مرابطا - عن الأمور المتعلقة بالفقه، وكذا للتعرف على تاريخ

⁽¹⁾ - محمد سبي يوسف، مقاومة منطقة القبائل، ص 19.

⁽²⁾ - N.Robin, op.cit, p 202.

⁽³⁾ - طيب جاب الله، الدور الاجتماعي والتربوي للزوايا في المجتمع الريفي الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص 73.

الأعياد الدينية "كعیدي الفطر والأضحى"، وعن بداية شهر رمضان⁽¹⁾، واستفتاء العلماء والفقهاء⁽²⁾.

وبالعودة إلى مكانة السوق في الوسط الشعبي الزواوي، كمؤسسة اجتماعية - دينية - لاحظنا من خلال ما أشارت إليه المصادر، تمركز المرابطين بشكل كبير داخل هذه الأسواق، إذ لا تكاد تخلو أي زاوية من زواياه منهم، الأمر يوحى بوجود علاقة تكاملية بين السوق والمرابطين.

فمن جهة يحتاج المرابطون إلى الأسواق كفضاء لممارسة نشاطاتهم الدينية، للحفاظ على القيم الإسلامية وعلى مكانتهم الاجتماعية، ولكسب المزيد من احترام السكان، الذي بلغ في بعض الأحيان درجة التقديس⁽³⁾. ومن جهة أخرى تحتاج الأسواق لفئة المرابطين التي كانت تؤدي دورا اجتماعيا هاما في تفعيل وتشييط العملية التوافلية الفكرية، من خلال تقديمها خدماتٍ جليلة للمجتمع المحلي في كل ما يخص شؤون حياته الدينية والدنيوية⁽⁴⁾، وهو الشيء الذي كان يجذب الأفراد لارتياد السوق مما ساهم في تشويط حركته بغض النظر عن أدواره الاقتصادية.

وبطبيعة الحال، أدت حاجة السكان لمعرفة الأمور المتعلقة بدينهم إلى احترام وطاعة المرابطين لدرجة أن أصبحت لديهم سيطرة قوية في الأسواق، حيث كانت سلطتهم تكاد تتفوق على سلطة الأمناء. وقد فسر "Daumas" (دوماس) ذلك، إلى الضرورة الملحّة في الاستعانة بهم للحفاظ على الأمن والسلم داخل الأسواق، باعتبارهم الفئة الأكثر تأثيرا في

⁽¹⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج2، ص 79.

⁽²⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 157.

⁽³⁾ - Edmond Doutté, "Note sur l'islam maghrébin", Marabout, Ed Ernest le Voux, Paris, 1900, p 102.

⁽⁴⁾ - ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ - 1732)، ترجمة وتقديم ناصر الدين سعيدوني، د.غ.إ، تونس، د.ت، ص 63.

وسط المجتمع الزواوي. وهو ما أكدّه لنا بقوله أن: "...المرابطين استفادوا من هذا الاحترام في تأسيس وتقديم إحدى العادات الجميلة وهي العناية التي تمنح للزواوبيين"⁽¹⁾.

ولكن حسب ما جاء به "دفو"، فإن الدور المهم الذي لعبته الأسواق في بلاد زواوة كفضاء يجتمع فيه السكان بعلماء الدين لمناقشة المسائل الدينية، جعل بعض المرابطين خاصة الذين ينتمون إلى فئة الدراويس⁽²⁾ يتذرون من هذه الأسواق مسارح يتظاهرون فيها بالعلم والدين والبركة، وأحياناً يدعون أنهم أولياء صالحين يقومون بدور المدافعين عن الدين والحرية، مُعرضين رسائل تحمل طوابع مختلفة، على أساس أنها صدرت من سلاطين "القسطنطينية" و"مصر" و"تونس". محاولين بهذه الطريقة لفت الانتباه والاهتمام والتقدير⁽³⁾.

3 - الفصل في المنازعات:

كانت النزاعات التي تقع بين الأشخاص في المجتمع الزواوي، مهما كانت طبيعتها تُحل على مستوى جماعت، باعتبارها المؤسسة الوحيدة الحاكمة على مستوى القرية والت يتماك السلطة القضائية⁽⁴⁾. ولكن أحياناً عندما يُستعصي حل بعض القضايا الشائكة على هذه الهيئة، خاصة تلك التي لها علاقة بالنشاطات الاقتصادية، تقوم برفعها إلى مجلس القضاء الذي كان بدوره يعقد جلساته في الأسواق الأسبوعية المنظمة في عرش من الأعراس. أين

⁽¹⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, pp 55-56.

⁽²⁾ - الدراويس: هم المرباطون الذين يؤمنون بالخرافات والبدع، يستعينون بالشعوذة باسم الدين. أنظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص 27.

⁽³⁾ - C.Devux, Les kabailes de Djerdjera," Etudes nouvelle sur les pays vulgairement appelés la Grande Kabylie", paris, 1859, p 146.

⁽⁴⁾ - أ.هانوت وـ لوتوينو، المصدر السابق، ج 2، ص 9.

كانت تُعالج فيها أغلب القضايا الصعبة سواءً التي تحدث داخل السوق كالخلافات المتعلقة بالمعاملات التجارية، أو التي تحدث خارج حدوده كالنزاعات المدنية المختلفة⁽¹⁾.

وكانت مهمة تولي القضاء في السوق تخضع لمجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر في من يتولاها. من بينها أن يكون القاضي في البداية طالباً في إحدى الزوايا⁽²⁾ التي يشرف عليها المرابطين، حيث عليه مجالسة ومزاولة الشيخ لفترة من الزمن، إلى أن يتمكن من أخذ العلم الغزير والحكمة في اتخاذ القرارات المناسبة، حتى يرتفق إلى مرتبة الإمام أو القاضي ليحكم بين الناس بالعدل، وبعدها يتخد من السوق مكاناً خاصاً به كمحكمة يمارس فيها المهام القضائية⁽³⁾.

ونظراً لأهمية القضاء في تنظيم العلاقات الاجتماعية وتحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد، حرص الفرد الزواوي على رفع قضاياه المتنازع عليها في الأسواق لتحصيل حقوقه. فكانت تتم المداولات داخل السوق بعرض المدعى لقضيته أمام القاضي، فيرد المدعى عليه، ثم يتدخل الشهود إما بطلب من الطرفين أو يعرضهم أمقران السوق، وبعد انتهاء الناقاش يستشير القاضي مساعديه الذين يحيطون به، فتنتهي القضية في معظم الحالات بإصدار حكم يكون مسبوقاً أحياناً بأداء القسم، أما إذا تعذر إنهاء القضية فوراً يوجلها القاضي إلى أحد أيام السوق التالية، وفي هذه الحالة يأمر باتخاذ إجراءات احتياطية مثل حجز الشيء موضوع الخلاف.

⁽¹⁾ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 42.

⁽²⁾ - الزوايا: هو جمع كلمة زاوية التي تطلق في الأصل على صومعة الراهب المسيحي، لتطلق فيما بعد على عبارة المدارس والمعاهد الدينية، التي تأسست لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم والأحاديث وغيرها من العلوم الشرعية. أنظر: مني سي فوضيل، الزوايا بين الماضي والحاضر دراسة سوسيولوجية لزاوية الشرفاء سيدى بلهول زاوية سيدى عبد الرحمن البليوى بمنطقة القبائل

، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 63.

⁽³⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 10-11.

وقد أورد "هانوتو" أن قرارات قاضي السوق تعتبر حاسمة لا يمكن الطعن فيها إلا في بعض الحالات، كحالة ثبوت تلقيه الرشوة أو شهادة زور، أو حين يكون الحكم متناقضاً مع إجماع رأي الحاضرين أثناء مناقشة القضية⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد، أشار صاحب مخطوط "كيفية سيرة زواوة" إلى بروز صنفين من القضاة في السوق. الصنف الأول يحكم بالعدل وفق نص الشريعة، فلا يصدر حكماً إلا بسماع القضية، والاستماع إلى شهود الخصمين، فلا يحكم إلا باليقنة رافعاً شعار "العدل ميزان الله في الأرض".

وصنف ثاني يحكم على قدر قيمة ما قدم إليه من رشوة من طرف المتخاصلين، حيث أشارت وثيقة المخطوط عن وجود بعض القضايا التي تورط فيها القضاة بأكل الرشوة من المتخاصلين، منها: "... من له حجة يمشي للعالم في داره ويقول له ياسidi قضيتي كيت وكيت فان أعطيتني الحق نعطيك كذا وكذا فيمده في تلك الوقت أو يضع عنده بندقية أو قضية أو غير ذلك رهينة وكذلك الغريم الثاني يأتيه ولم يعلم بصاحبها فيعطيه أيضاً الدرهم أو بعض الحاجات حتى يجتمع عند العالم دراهم الخصمين...".⁽²⁾

كما قدم نفس المخطوط أمثلة عن بعض هذه القضايا، منها تلاعب القضاة بالأحكام الصادرة عنهم بعد تلقيهم لأكبر قدر من الرشوة، ومما ورد في الأمثلة ما يلي: "كان أحد الخصمان قدّم للقاضي بزويجتين دجاج وأعطاه الحق ثم أتى غريميه الثاني بثور، فحول الحق من صاحب الدجاج إلى صاحب الثور وقال له الأولى يا سيدي البارحة أعطيتني الحق واليوم نزعته لي، قال له هذا ليس حديث فافافا هذا حديث الحق يشق الأرض ...".

⁽¹⁾ - أ. هانوتو وأ. لوتورنو، المصدر السابق، ج 3، ص ص 43-44.

⁽²⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 10.

وقد لوحظ أنه إذا ثبت في السوق أن القاضي يأكل الرشوة ولا يحكم بالعدل، وشاع خبره بين الناس، كان لا يقف عنده أحد بخصوصه مهما كان نوعها، وإنما تُعرض على قاضي آخر، وتسقط رتبة القاضي منه ويصبح غير أهل للثقة من طرف المجتمع الزواوي⁽¹⁾.

المبحث الثاني: الأبعاد الأنثربولوجية للسوق:

إن الغوص في الخلفيات الأنثربولوجية للسوق في بلاد زواوة، يفضي-لا محالة- إلى اكتشاف بعض المعايير القيمية والقواعد السلوكية التي بلورتها "الجماعة الزواوية" انطلاقاً من معتقداتها الدينية وتقاليدها العريقة. وفيما يلي محاولة تسلیط الأضواء على بعض من تلك الجوانب:

1 - معيار للرجولة:

تتبّق من المعاملات الاقتصادية والاجتماعية لفضاء السوق في بلاد زواوة هيمنة عنصر الذكور. فـيُعتبر ارتياح السوق بالنسبة لسكان المنطقة - رمز للنضج والرجولة-، فهو في اعتقاد أغلبهم مكان رجولي مخصص للرجال دون النساء.

ونظراً لهذا الاعتقاد، كان يُعتبر دخول الطفل إلى السوق لأول مرة حدث بارز في حياته يستحق اهتمام العائلة بأكملها، اعتباراً من كونه الحلقة الأساسية في تكوينه الاجتماعي⁽²⁾. خاصة أنه في اعتقادهم أن دخول ابنهم للسوق يعني انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، وهو ما يستوجب تخصيص طقوس احتفالية مميزة لهذا الحدث الذي يعتبر فريد من نوعه في منطقة زواوة⁽³⁾.

⁽¹⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 11-12.

⁽²⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 157.

⁽³⁾ - رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 171.

وعليه، بعد بلوغ الصبي السنة الثالثة عشر تهئه أمه في الصباح الباكر، وتختر له ملابس جديدة ونظيفة تتمثل في "برنوس" وجلابة⁽¹⁾، مع "تمحرث نلحرير" (منديل من الحرير) ذو اللونين الأصفر والأحمر، وهي علامة خاصة لإبراز هذا الحدث، ثم تضع الأم إبرة في مقدمة شاشيش بقشيش (شاشية الولد)، وهذا بغرض تفادي النحس وسوء الطالع، ثم يحتسي ملعقة عسل للتبرك ويودع من طرف النسوة بالزغاريد مع طلاقات البارود⁽²⁾.

ولا تكتمل طقوس مظاهر إبراز الرجولة عند الطفل، إلا بحمله لبندقية على كتفيه وهو داخل إلى السوق مع أبيه، متباهيا بإظهار رجولته أمام الحاضرين، الذين يشيرون إليه بكلامهم "وَكِي ذَمِيسْ لَفَلْانْ يَرْفَدْ ثَمْقْحَلْتْ" (هذا ولد فلان يحمل بندقية). فحمل البندقية عند أهل زواوة دليل على الهيبة والشجاعة⁽³⁾، لذلك أول ما يفعله الطفل عندما يكبر هو حمل البندقية، فالرجل الزواوي لا يمكن له التخلّي والإفراط في سلاحه مهما كلف الأمر⁽⁴⁾.

والملحوظ في هذه الطقوس مشاركة أقارب وأصحاب وأحباب والد الطفل فيها، وذلك من خلال تقديمهم مبالغ مالية له أثناء تسوقه، تتراوح قيمتها بحوالى ربع دينار ليشتري بها الحلويات وبعض الهدايا كالمرايا والصابون لعائلته. كنوع من المساهمة في إنجاح هذه الرمزية التي تعتبر إحدى أهم الخصوصيات التي يتفرد بها أهل المنطقة.

وتستمر هذه الاحتفالية بابتاعولي الطفل التقاليد المتبعة تقريبا في كل قرية، وهي شراء أمْسُلُوخ (اللحم) من السوق، وبوزلوف (رأس الكبش) لإعداد العشاء كوليمة للعائلة على

⁽¹⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 1.

⁽²⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 157.

⁽³⁾ - كيسة بولجينت، العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين 17م-19م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010، ص 30.

⁽⁴⁾ - M.Rozet et E.Carette, op.cit, p 223.

شرف الطفل⁽¹⁾. فاقتقاء بوزلوف يمثل فال خير للمجتمع المحلي، فهو يُعبر عن أمل العائلة في أن يصبح طفلاً "ذَقْرُو نَتَدَارْثَ" أي رئيس القرية⁽²⁾.

بعد نهاية طقوس الاحتفال التي كانت تتواصل إلى غاية نهاية شهر رمضان ويوم العيد، يصبح الطفل بعدها في مصاف الرجال، له نفس الحقوق التي يتمتع بها هؤلاء في مجتمعهم منها: صلاحية تولي شؤون العامة في قريته، كإصلاح أماكن ثجماعت والعيون وغير ذلك، كما يتكلف بخدمة شؤون الفلاحة كالحراثة والغراسة، وجمع التين والزيتون⁽³⁾.

في الحقيقة يمكن القول، أن انتشار فكرة الاعتقاد - بذكورية فضاء السوق - لدى أغلب سكان المنطقة، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة المجتمع الذي كان ذكورياً، يتحكم في معظم جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. حيث كرسَت أعرافه حصر دور المرأة في مجال البيت، مما ساعد على ترسيخ صفات الحرمة والخشمة والشرف والطاعة التي كانت تتميز بها المرأة الزواوية، هذه الصفات التي عملت العائلة على تلقينها الفتاة منذ ولادتها⁽⁴⁾.

كما ساهم على تدعيم هذا الاعتقاد، القوانين التي سنت لمراقبة سلوكيات الأفراد خاصة المرأة التي يرتبط شرفها بشرف العائلة، لذا كان يعتبر المنزل على العموم هو المجال الخاص بالمرأة، في حين تبقى الساحة العامة والسوق مكان التقاء الرجال⁽⁵⁾.

وفي هذا الصدد، يحدث إن تطاولت المرأة على والديها أو زوجها يقال لها "تبغيض أَسْغَالَضْ ذَمْسَوْقْ بُخَامْ" أي تريدين أن تصبحي متسوق البيت، وهو تعبير يحمل دلالة منع

⁽¹⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 1.

⁽²⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 157.

⁽³⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 1.

⁽⁴⁾ - Tillon Germaine, le Heram et les cousins, Paris, 1982, p 113.

⁽⁵⁾ - أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 187.

المرأة من النطأول والتمرد، كمنعهم لها من التسوق الذي يُعتبر مسألة رجولية لا نقاش فيها⁽¹⁾. فدخولها إلى السوق أمر شبه مستحيل، فالشيء الوحيد الذي يقمن به في يوم التسوق هو إنتظار عودة الرجال من أجل إعداد الكسكس باللحم المشترى⁽²⁾، وهي عادة يقوم بها أهل زواوة كل يوم التسوق ولا يزالون يحتفظون بهذه العادة إلى يومنا هذا.

إلا أنّ هذا الأمر لا ينطبق على جميع نساء زواوة، فقد أشارت الكثير من المصادر مثل "هانوتو" و"مخاططه" سيرة زواوة أنّ هناك بعض نساء يملكن -قليلاً- من الحرية مقارنة بغيرهن، مثل نساء الضفة اليمنى من "سيباو" وآث ايراثن، وآث فراوسن" وآث بوشعيب"⁽³⁾. لهذا تمنت المرأة الزواوية -على العموم- بوزن وأهمية داخل مجتمعها، والدليل أن بعضها ارتادت الأسواق الأسبوعية لجلب المؤن، والقيام بالمعاملات التجارية⁽⁴⁾. حيث ساهمت في اقتصاد العائلة من خلال الأعمال الإنتاجية التي كانت تستثمرها في السوق، ما دام أنه يخضع لقوانين يوفر لها حرية التسوق بشكل مريح ويضمن لها كرامتها⁽⁵⁾. ولكن على الرغم من هذا كله، يبقى السوق ذلك المجال الخاص بالرجل والذي لا يمكن للمرأة تجاوزه.

2 - عقد "صفقات" المصاورة:

يعتبر الزواج أساس تكوين الأسرة، وهو من أهم النظم الاجتماعية في حياة الأفراد والمجتمعات. لهذا كان يترتب عن الزواج في منطقة زواوة اختيار الزيجة المناسبة التي تتوافق

⁽¹⁾ - رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 172.

⁽²⁾ - C.A.O.M. 915-88, op cit, p83.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونزو، المصدر السابق، ج2، ص ص 80-81.

⁽⁴⁾ - E.Daumas et M.Fabar, op.cit, p 40.

⁽⁵⁾ - Pierre Bourdieu, la domination masculine, Ed du seuil, Paris, 2002, p 24.

مع الانتماء العائلي والنسيبي، فالزواج يمثل اتحاد عائلتين شريفتين، وهو من الأمور التي تدخل في نطاق التبادلات القروية كشرط أساسي للحياة الاجتماعية⁽¹⁾.

وبما أن السوق كان ذلك الفضاء الذي يجمع بين مختلف سكان المجتمع الزواوي، كثيراً ما كان يفضي الالتقاء بين أفراد القرى والأعراس إلى المصاهرة فيما بينهم، خاصة المصاهرات ذات الطابع السياسي التي لها دور في تقوية نفوذ الأسرة والقرية من خلال عقد التحالفات⁽²⁾.

ونظراً للوظيفة الاجتماعية التي كان يؤديها الزواج التقليدي في ترقية حياة سكان المنطقة، أصبح هذا الأخير يخضع لمجموعة من العادات الاجتماعية تتضمن قيمًا خاصة يتمسّك بها المجتمع الزواوي تمسكاً شديداً، لدرجة أنها تأصلت جذورها ورسخت فصارت جزءاً من التراث الثقافي الموروث للمنطقة، فكان من بين هذه العادات الزواج الداخلي.

فقد عُرف عن العائلة الزواوية ميلها للنزوح نحو الزواج الداخلي، مما جعل الأهل يحرصون على اختيار الزوج أو الزوجة من نفس العائلة، حتى يضمنوا بذلك استمرار زواج القرابة، الذي كان يعتبر من المسلمات لما يؤديه من دور في الحفاظ على الثروة، والأملاك وتقوية وتعزيز الوحدة الأسرية وتوثيق العلاقات فيما بينها⁽³⁾.

إضافة إلى هذا النوع من الزواج، أشارت العديد من المصادر إلى نسج مصاهرات خارج الإطار العائلي، وذلك بداعي المصلحة العامة للقرية، حيث تسعى العائلات الكبيرة والشريفة التي تملك مكانة مرموقة داخل قريتها إلى ربط علاقات الزواج مع عائلات أخرى

⁽¹⁾ - مالية حمداني، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف وال الحاجة المادية "دراسة ميدانية في مدينة ذراع بن خدة وقرية ترمتن"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 75.

⁽²⁾ - Alain Mahé, op.cit, p 67.

⁽³⁾ - مالية حمداني، المرجع السابق، ص 76.

لها نفس الصيغة، مما يعزز أواصر الاتحاد والقوة بين الطرفين في إطار ما يعرف بالصف. وأحيانا تكون من أجل إنهاء النزاعات والتوترات بين القرى.

ومراوغة لهذه الاعتبارات، كان يقوم الآباء أثناء ارتياحهم للأسوق عقد صفقات الزواج حسب ما تميله المصلحة، فيزوجون بناتهم دون علمهن وعلم أمهاهن، فيقول الزوج لزوجته بعد عودته من السوق "أَفَلِيْنْ فَكِيْغْ تَقْشِيشْتُ أَنِي" أي قمت بتزويج البنت، وكان هذا الفعل كثير الحدوث في العديد من القرى الزواوية⁽¹⁾.

والملفت للانتباه، هو أن هذا القرار لا رجعة فيه حتى ولو ندم الأب بعد ذلك نتيجة لتسريعه أو لعدم موافقة الأم عليه. فالكلمة في المجتمع الزواوي تملك سلطة فعلية على مرددتها، وهو ما ترجمته لنا الكثير من الأمثال الشعبية مثل: "العَبْدَ يَسْوَطَافُ سَقِيلَسْ" أي يمسك الإنسان من لسانه، وقول "أَوَّلْ أَمْثَ رَصَاصَتَ" أي الكلمة كالرصاص إذا ما خرجت لا يمكن أن تعود. لهذا كان يرى الرجل الزواوي أن كلمته فوق كل اعتبار، وإذا ما تلفظ بها أمم الجماعة أو في السوق لا يستطيع أن يتراجع عنها⁽²⁾.

وتتجدر الإشارة، إلى أن السوق إضافة إلى دوره في ربط علاقات المصاورة، كان يحمل مدلولاً معنوياً في حياة السكان، وذلك من خلال منحه قيمة اجتماعية بارزة تظهر ملامحها في جعله مكاناً تقام فيه بعض طقوس الاحتفال بالزواج⁽³⁾، منها ما ذكره مخطوط "سيرة الزواوة" أن الأب بعد أن يخطب لابنه يقوم بشراء ثور ويذبحه داخل السوق، ثم يقوم ببيع جلده ورؤسه وفؤاده في نفس السوق، أما اللحم فيأخذه إلى بيت العروس كهدية، وتتكرر هذه

⁽¹⁾ - رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص 176.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص ص 114-117.

⁽³⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 144.

العملية أكثر من ثلاثة مرات. ثم يتسوق ويشتري كل ما يلزم العروس من ..الخنة وشيء من الكتان ومحرمة حرير وشيء من القمح والسمن والعسل.. وغيرها من اللوازم⁽¹⁾.

3 - التخطيط لأخذ الثأر:

يعتبر المجتمع الزواوي من أشد المجتمعات تشديداً وتحفظاً من العار، فالشرف عندهم أهم شيء يعيشون من أجله⁽²⁾، لهذا كانت قضايا الشرف يُستعصى حلها في مجلس القضاء نتيجة تصدام القوانين العرفية مع الشريعة. وذلك لعدة أسباب أهمها: تجذر الذهنية العرفية داخل أفراد المجتمع، وانتشار الجهل بشكل واسع مما كرس ثقافة الصف والثأر⁽³⁾.

وعقوبة الشرف عند سكان المنطقة لا تحكم فيها مهما كلف الأمر، لأن الرجل الزواوي يرى في الانتقام الواجب المقدس⁽⁴⁾، لذلك من العار أن يسمح لأي شخص مهما بلغت مكانته بالتحكيم في قضية تمس شرفه⁽⁵⁾.

الحقيقة يمكن القول أن ما يُعيّب القوانين الزواوية في هذا الشأن، هو عدم اكتفائها بالتعريض والنفي في حق الجاني فقط، بل حتى المظلوم أو المتضرر على الأقل إبداء الرغبة في الانتقام وغسل العار، وهو ما يعرف بالوسط الشعبي "الحرمة والنيف". كما أنه لا يوجد

⁽¹⁾ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 02.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 04.

⁽³⁾ - محمد أربقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 123.

⁽⁴⁾ - Jules liorel, op.cit, p 441.

⁽⁵⁾ - أبو يعلى الزواوي، المرجع السابق، ص 103.

دية⁽¹⁾ ولا غرامة في حق من يأخذ بثأره انتقاما لشرفه. والأكثر من ذلك فإن بعض سكان القرية يقومون بتسلیحه ومساعدته في الثأر⁽²⁾.

والغريب في العرف الزواوي هو إطلاق يد عائلة الضحية للانتقام دون أن تتعرض إلى العقاب، مما أدى إلى رسوخ وانتشار ظاهرة الثأر بين أفراد هذا المجتمع رغم مساعي العلاء من شيوخ القبيلة والمرابطين لإلغائه وإحلال الديمة محله⁽³⁾.

ونظرا لانتشار هذه الظاهرة بكثرة عند أهل زواوة، كان لا بد لهم من إيجاد مكان ملائم يخططون فيه لتسوية خلافاتهم وحساباتهم، فلم يكن هذا المكان سوى الأسواق التي كانت تتتوفر فيها شروط إحاكة المؤامرات بصيغة الانتقام، باعتبارها المراكز الشعبية الوحيدة التي يلتقي فيها أكبر عدد من الناس⁽⁴⁾. وهو ما أوضحه "هانوتو" بقوله: "إذا ما لوحظت جماعة منزوية في السوق ملتقة ببعضها البعض وتتحدث بصوت منخفض، فمن المؤكد أنها تخطط لشيء ما"، ويضيف قائلاً: "وإذا ما عدنا إلى أصل الحوادث الخطيرة التي وقعت في منطقة القبائل فسيؤدي حتما إلى السوق"⁽⁵⁾.

ولكن على الرغم من كون السوق كان مسرحا لإحياء الثأر من خلال التخطيط للاغتيالات، إلا أن عمليات الانتقام لا تتم داخله. وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى منطق العرف الزواوي الذي يعتبر فاعلها عار يلوث شرف العائلة⁽⁶⁾، إضافة إلى قوانين السوق

⁽¹⁾- الديمة: هي شرع الله عز وجل لعباده لحفظ النفس، يدفع فيها مبلغ من المال عوضا عن دم القتيل. أنظر: علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص 93.

⁽²⁾- أحمد ساحي، المرجع السابق، ص ص 200-201.

⁽³⁾- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 136.

⁽⁴⁾- Alain Mahé, op.cit, p 67.

⁽⁵⁾- أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

⁽⁶⁾- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 11.

الصارمة التي كانت تطبق أشد العقوبات في كلّ من يُخل بأمنها، والتي كان أقصاها الحكم بالموت من دون محاكمة⁽¹⁾. كما وسبق الإشارة إليه في الفصل الأول.

وفي هذا الشأن، برزت فئة من المرتزقة تتخذ من زوايا الأسواق مكاناً لها يقصدهم من أراد شراء ذمّهم بالمال مقابل تنفيذ عمليات القتل. خاصة وأنه في المجتمع الزواوي كثيراً ما تتحول قضية الثأر بين شخصين ينتميان إلى صفين مختلفين إلى حرب بينهما، لتشكل بذلك ما يعرف بقضية الصف، التي تتطلب التخطيط لاغتيالات، التي تطال شخصيات نافذة، بجمع الأموال اللازمة لتوكيل القاتل لإنجاز المهمة⁽²⁾.

ومن بين الحوادث التي كان السوق سبباً في حدوثها، حادثة 1825م التي كان القايد التركي "الحاج اسماعيل" المخطط الرئيسي لها، ضد الصف العلوي لقبيلة "إمبراون" بمساعدة الصف السفالي الموالي له، وذلك بعد تعرضه للإهانة في "سوق إمبراون"، انتهت بقتل القايد من طرف "محمد ناث قاسي"، ليُقتل هو أيضاً بدوره. ولم ينجو من رجال الصف العلوي إلا رجل واحد وهو "أعمر أوحدة"⁽³⁾.

لقد أدت قضية الثأر المتوارثة من جيل إلى جيل، إلى الحقد والكراهية والقتل داخل المجتمع الزواوي، مما جعل أفراده يهربون إلى المناطق البعيدة قسراً، تاركين وراءهم ذكرياتهم وأماناتهم وكل ما يملكون آملين في الرجوع يوماً ما، أو يطلبون الحماية من القرى أو الأعراس الأخرى كما هو ساري في المنطقة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - Alain Mahé, op.cit, p 67.

⁽²⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص ص 103 - 104.

⁽³⁾ - محمد جلاوي، المرجع السابق، ص 119.

⁽⁴⁾ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، ص 112.

4 - التعبئة للجهاد:

تمكن السوق في بلاد زواوة من تأدية دور المؤسسة الجهادية، وذلك من خلال ضمه لرجالات المقاومة الذين كانوا ينافقون فيه المواضيع الأكثر أهمية، مثل التخطيط لإعلان الحرب التي كان يُخطط لها في كل شيء "التاريخ، الوقت، الإشارة، موقع التجمع"⁽¹⁾. كما يتم فيه النداء إلى الجهاد المقدس بحمل السلاح ضد العدو الخارجي⁽²⁾، وإلى القتال بما تقتضيه مصالح الصف والقبيلة والاتحاد التي يتعطش إليها السكان⁽³⁾.

ولهذا كان السوق يكتسي أهمية كبرى في حياة القرويين، إذ تعدى دوره من تجمع شعبي يلبي الحاجة الاقتصادية، إلى دور سياسي جهادي أخذ مع مرور الوقت يشكل أهمية كبرى. ففيه يتكون ما يسمى بالرأي العام، فكل من يريد إقامة ثورة يقوم بالإعلان عن الجهاد في الأسواق، باعتباره المكان الوحيد الذي يمكن فيه الاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان⁽⁴⁾.

ويتبين جلياً ارتباط السوق بمسألة الجهاد من خلال تجنيد "إمبيلن"⁽⁵⁾، الذين يتعهدون على تأدية واجب الجهاد إلى غاية الاستشهاد⁽⁶⁾. حيث يتم تجنيدهم من طرف المسؤولين السياسيين والعسكريين، الذين يحددون عدد الفرق التي يحتاجونها، ثم تتقى

⁽¹⁾ - Carette, op.cit, p 367.

⁽²⁾ - مزيان سعدي، المرجع السابق، ص 71.

⁽³⁾ - أ.هانوتو وأ.لوتونو، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

⁽⁴⁾ - محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 19.

⁽⁵⁾ - إمبيلن: وهو جمع مسبل بلغة البلاد، وهو نوع من الفداء كان يوجد في منطقة القبائل عندما تعلن البلاد حرباً مع دولة أجنبية للدفاع عن الوطن، ومن هنا لا يجند المسبل للحروب الداخلية بين القبائل بعضهم البعض. أنظر: عبد الرحمن دويب، تاريخ المدن، الأعمال الكاملة للشيخ المهدى البواعظى، ط 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 108.

⁽⁶⁾ - محمد أرنقي فراد، المجتمع الزواوى، ص 118.

شخصية دينية تتمتع بالنفوذ والسمعة الطيبة في البلاد، فيفتح تسجيلاً للمجندين في هذه الأسواق⁽¹⁾.

وقد أثبتت أغلبية المصادر في هذا الصدد، أن معظم الثورات الشعبية التي عرفتها المنطقة، كانت شراراتها الأولى قد انطلقت من السوق، ومن بين أهم الأسواق التي عرفت نشاطاً كبيراً في هذا الميدان نجد: "سوق واضيّة، سوق بوعنّي، سوق حمزة" "البويرة" وسوق الاربعاء ناث يراثن". فنجد مثلاً أنَّ الشريف "بوبنجلة" قبل شروعه في إعلان الثورة ضدَّ المحتل الفرنسي، كان يمهدُ لها عن طريق هذه الأسواق، حيث تمكن من خلالها من معرفة عقلية الأهالي وإمكانية تقبلهم للثورة إن دعاهم إلى ذلك، فمكنته اتصالاته عن طريق السوق من أن يتلقى الدعم لثورته بانضمام الشباب إليها، وذلك بعد أن حقق الدعاية لنفسه في الوسط الشعبي⁽²⁾.

ومن السوق صدرت أيضاً دعوة الجهاد لثورة "الشيخ الحداد"، التي تم الإعلان عنها في السوق الأسبوعية بصدق، وكانت نتيجة ذلك انضمام الآلاف من القرويين المتطوعين لهذه الثورة⁽³⁾، ونفس الشيء حدث مع ثورة 1871 م التي قام بها "المقراني" بوادي "بجاية"، وأيدتها صهره العالم "محمد أمزيان بن الحداد" من "سوق صدوق" بضواحي "بجاية"⁽⁴⁾.

في مجمل هذا الفصل يمكن القول: أنَّ علاقة المجتمع الزواوي بالأسواق ما هي إلا تجسيد للرغبة المشتركة في الحياة، وتبادل المنافع التي تؤدي في نهاية الأمر إلى استمرار العلاقات الاجتماعية بين أفراده كمجموعة منظمة. وذلك من خلال تناقل الأخبار

⁽¹⁾ عبد الرحمن دويب، المرجع السابق، ص 108.

⁽²⁾ محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل، ص 21.

⁽³⁾ رضوان بوجمعة، المرجع السابق، ص ص 174 - 175.

⁽⁴⁾ عبد الرحمن دويب، المرجع السابق، ص 521.

والمعلومات، وتبادل الأفكار والخبرات. ليشكل السوق أهميةً للتواصل والاتصال وتبادل المعلومات وتجارب الحياة، عاكساً بذلك الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة آنذاك.

خاتمة

سعينا من خلال هذه الدراسة الى إلقاء أضواء كاشفة على الأسواق الأسبوعية في بلاد زواوة، وذلك خلال العهد العثماني ومع بداية الاحتلال الفرنسي، وخلصنا الى جملة من النتائج المهمة، نلخصها كالتالي:

أدى عدم إحكام السلطة العثمانية قبضتها على بلاد زواوة، رغم استعمالتها لبعض قبائلها، وبناء أبراج وحاميات لمراقبة تحركات سكانها، إلى تمنع المنطقة باستقلالية تكاد تكون شبه تامة، خاصة في أواخر عهد الدييات، مما جعل المنطقة تعتمد على نفسها في تسيير مختلف شؤون حياتها. وكانت هذه العملية تجري عبر الأطر المختلفة التي أبدعها المجتمع الزواوي أو كيّفها لتتلاءم مع ظروفه، على غرار هيئات "شاجاعاث"، ومؤسسات الزاوية... وإذا كانت هذه الأخيرة قد جرى تسلط الأضواء عليها، فهناك مؤسسات أخرى بقيت في ظل، لاسيما "السوق" الذي لم يكن في بلاد زواوة- مجرد فضاء تجاري كما يعتقد الكثيرون، وإنما مؤسسة اجتماعية-سياسية لعبت دورا هاما في ملء الفراغ الناجم عن ضعف حضور السلطة المركزية.

فقد اكتسبت الأسواق أهمية كبرى لدى أهل زواوة، إذ كانوا يهتمون بإنشائها وتنظيمها وفق معايير تتماشى مع طبيعة وعقلية سكان المنطقة، خاصة وأنها تعكس سمعة وهيبة القبيلة المُقام على أرضها، إذ أن السوق كان يؤسس بناءً على معطيات متافق عليها تقريراً في جميع القبائل والأعراس، حيث كان يُقام على مساحات واسعة بعيداً عن التجمعات السكنية، ويراعي في موقعه معيار الراحة والأمن، كما لا يغيب عن السوق الجانب المقدس الذي كان جزءاً من تركيبته، فكانت الكثير من الأسواق تأسست بالقرب من الأضرحة والمراذن الدينية. دون أن ننسى العناية التي لعبت دورا هاما في توفير الحصانة والحماية لكل مرتدٍ في الأسواق، وهي الميزة التي لا نجد لها في أسواق المدن.

خضع السوق كغيره من المؤسسات الزواوية إلى مجموعة من الأعراف المندرجة ضمن قوانين القرى، من أجل الحفاظ على نظامه وسمعته، وذلك من خلال فرض قوانين وعقوبات

صارمة، كان يصل أقصاها إلى الموت دون محاكمة في حق كل من يحاول الإخلال بنظامه وخرق عنايته، لأن شرف السوق من شرف القبيلة.

مكّن السوق لأفراد المجتمع الزواوي من ممارسة التجارة، وإيجاد مكان لتسويق منتجاته المتنوعة، التي اشتهرت بها المنطقة رغم الإمكانيات المحدودة. إلا أن إرادة الرجل الزواوي وحبه للعمل والاعتماد على النفس وعلى ما تتوفر له من موارد، جعلته ينتج سلعاً مختلفة وصلت إلى العديد من أسواق المدن، وأسواق الجنوب، بل واختارت حدود البلاد فأصبحت تسوق خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي إلى أوروبا.

أعطى السوق في بلاد زواوة صورة واضحة عن اقتصاد المنطقة في تلك الفترة، وذلك من ناحية المنتجات المتوفرة محلياً والمستوردة، والأسعار التي كانت غير مستقرة نتيجة لتزايد وتناقص قيمة العملة المتداولة، والتي كانت السلطة العثمانية سبباً في تذبذبها وذلك بتغييرها المستمر للعملة. كما شهد السوق قيام معاملات تجارية اعتمدت بشكل كبير على أسلوب المقايسة، الذي أصبح السمة الغالبة على اقتصاد المنطقة، فاحتل منتوج الزيت صدارة السلع المتبادلة، الذي كانت تنتجه المنطقة بكثرة، حتى أضحى هذا المنتج مرتبط ببلاد زواوة إلى يومنا هذا، حيث اقترن تسمية الزيت باسم المنطقة - زيت القبائل - .

كما كشفت هذه الأسواق التبعية الاقتصادية التي تعاني منها المنطقة في بعض المنتجات، فكان أهمها: الحبوب والمواشي، والمواد الأولية المطلوبة في بعض الصناعات. وقد أدت هذه التبعية إلى ضعف مساهمة المنطقة في اقتصاد الجزائر، ونخص هنا بالذكر ما تعلق بأسواق بجاية، التي كانت حركتها التجارية مزدهرة، وذلك نظراً لما لعبته موانئ المدينة في تنشيط التجارة الداخلية والخارجية. وبصفة عامة يمكن أن ثُبّر سبب نقص مساهمة زواوة في اقتصاد البلاد، إلى رفض أغلب سكان المنطقة الاعتراف بالسلطة الحاكمة، بحكم رفضها الخضوع لها، وكانت التعاملات بين الطرفين شبه منقطعة، وهو ما انعكس سلباً على العلاقات الاقتصادية.

إن الاهتمام الواسع -بمؤسسة السوق- إن صح تسميتها بذلك، في ظل الظروف المعيشية الصعبة للسكان الذين كانوا يعيشون في معزل عن السلطة الحاكمة، نتيجة لحضورها الباهت في المنطقة أو بالأحرى غيابها الشبه الكلي، جعل هذه المؤسسة تلعب أدوارا عدّة في المجتمع الزواوي غير الدور الاقتصادي، حتى طغت مع مرور الوقت على هذا الدور.

في الحقيقة إن ارتباط أهل زواوة بالأسواق، كان ارتباطا وثيقا نتاجاً لغياب المؤسسات الاجتماعية التي تفتقر إليها المنطقة، فأتى السوق كبديل عنها فعكس لنا بذلك عادات وتقالييد المجتمع، وعلاقاته بالحياة الثقافية والسياسية، بحكم كونه مكان تجمع اجتماعي، يتم فيه تبادل الأفكار والأخبار حول كلما يتعلق بشؤون الحياة. وقد بلغت أهميته لدى السكان إلى درجة اعتبار دخول الطفل إليها رمزاً لبلوغ مرحلة الرجولة. وإضافةً إلى ذلك، كان يمثل وصلات بين مختلف الأسر التي تنتهي إلى مختلف الأعراس، وذلك من خلال نسج علاقات المصاهرة والاتحاد التي تفرضها المصلحة العامة، خاصة وأن المجتمع الزواوي معروف عنه بكثرة الصراعات والنزاعات القبلية التي سرعان ما تتحول إلى حرب.

ونظراً لهذه الخصوصيات التي انفرد بها السوق كمجال اجتماعي حيوي، أخذ حيزاً في تغطية نشاطات السكان، متخدّاً بذلك أشكال عدّة كهيئات ثقافية وسياسية وحتى قضائية، إذ كان يمثل محكمة يلجأ إليها أهل زواوة للفصل في قضاياهم المختلفة، وقد لعب فيها المرابطون دوراً فعالاً نتيجة المكانة المقدسة التي يتمتعون بها في المجتمع الزواوي، كما أصبح يشكل منتدى للشعراء والحكماء، يمارسون فيه نشاطاتهم الأدبية، التي كانت لها قيمة تاريخية واجتماعية كبيرة، فمن خلالها نتعرف على أهم المحطات التاريخية التي مرت بها المنطقة في الماضي والحاضر. كما كان مجالاً لكل ما يتعلق بالحياة السياسية، من أخبار سياسية، وتشهير للمقاومات الشعبية، واستطلاع للرأي، وتجنيد للحرب خاصة في الفترة الإستعمارية.

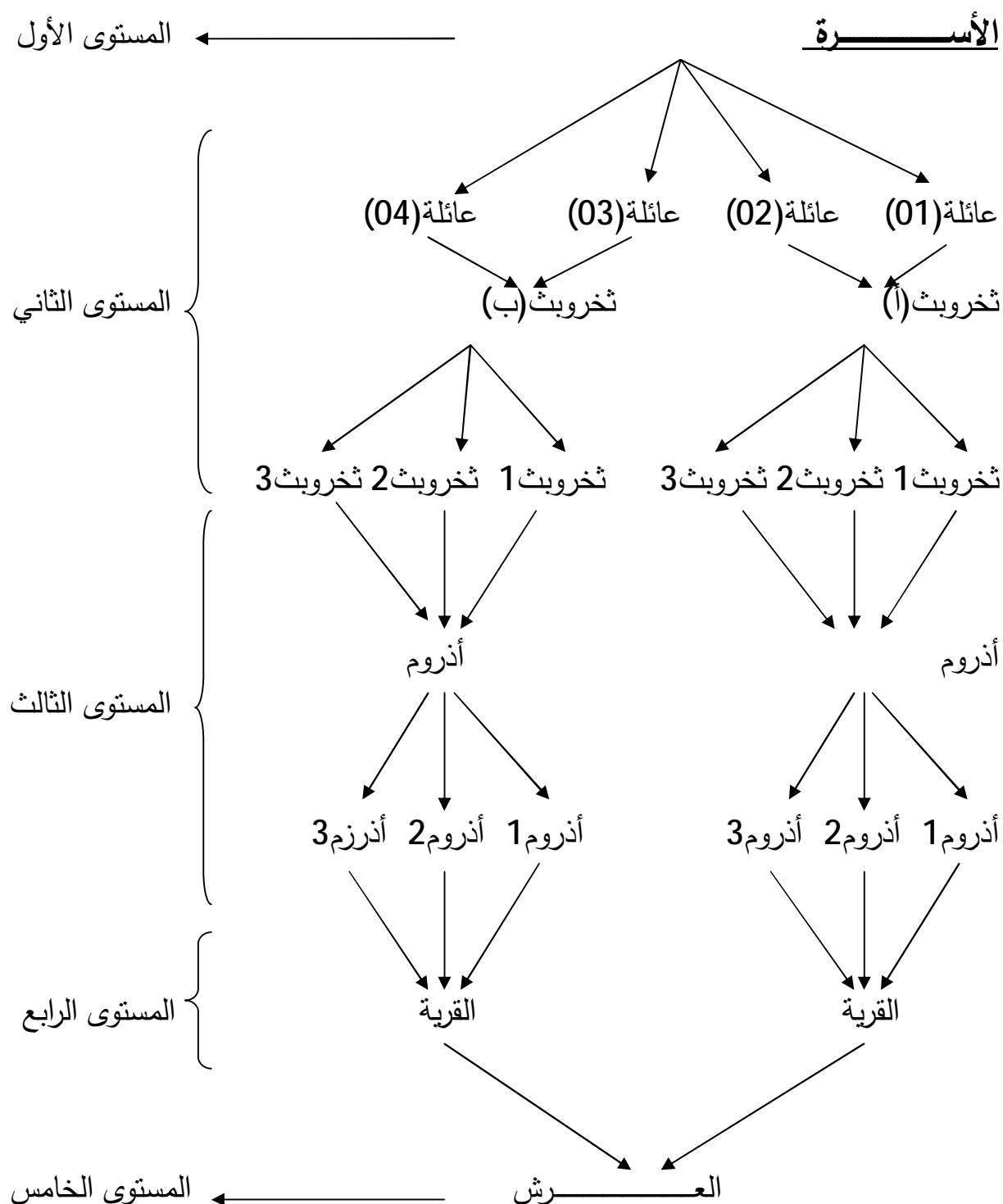
أظهرت دراسة جوانب السوق مكانة المرأة في المجتمع الزواوي، وذلك من خلال حرمانها من هذه الفعالية، رغم مساهمتها في اقتصاد المنطقة بصفة عامة وفي اقتصاد العائلة بصفة خاصة، وهو ما لا يمكن إنكاره، خاصة مساهمتها في العديد من الصناعات كالنسيج والفخار. وهذا ما يدل على ذكورية المجتمع الزواوي، بغض النظر عن تلك الاستثناءات لبعض القبائل التي سمحت لنسائها بحرية ارتياح السوق إما للتبعع أو لبيع منتجاتهن.

رغم الأهمية الكبرى التي اكتسبها السوق في بلاد زواوة، من جميع النواحي إلا أن القبيلة التي ينتمي إليها لم تستفد منه اقتصادياً كمصدر مهم لمداخيلها، وهذا الامر يفسره عدم خضوع هذه الأسواق إلى الضرائب أو ما يسمى بحقوق المكس، وهي -مسألة تبقى مطروحة-. وهذا ما يدلّ على حاجة الفرد الزواوي لهذه الأسواق كمؤسسة اجتماعية أكثر من حاجته لها كمؤسسة اقتصادية.

في الختام، يمكن القول أن السوق عكس الصورة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع الزواوي والخصوصيات التي انفرد بها، إذ يرسم لوحة فسيفسائية عن حياة السكان من جوانب عده، الذين أعطوا له أهمية كبرى، لاحتاجهم إلى مثل هذه المؤسسة التي تعددت وظائفها، فكان الفرد الزواوي يتسوق حتى لو لم تكن له حاجة لشراء البضائع، بل فقط من أجل أمور اجتماعية، وهذا ما يجعلنا نقول أن الدور الاجتماعي للسوق طغى بشكل واضح وكبير على دوره الاقتصادي.

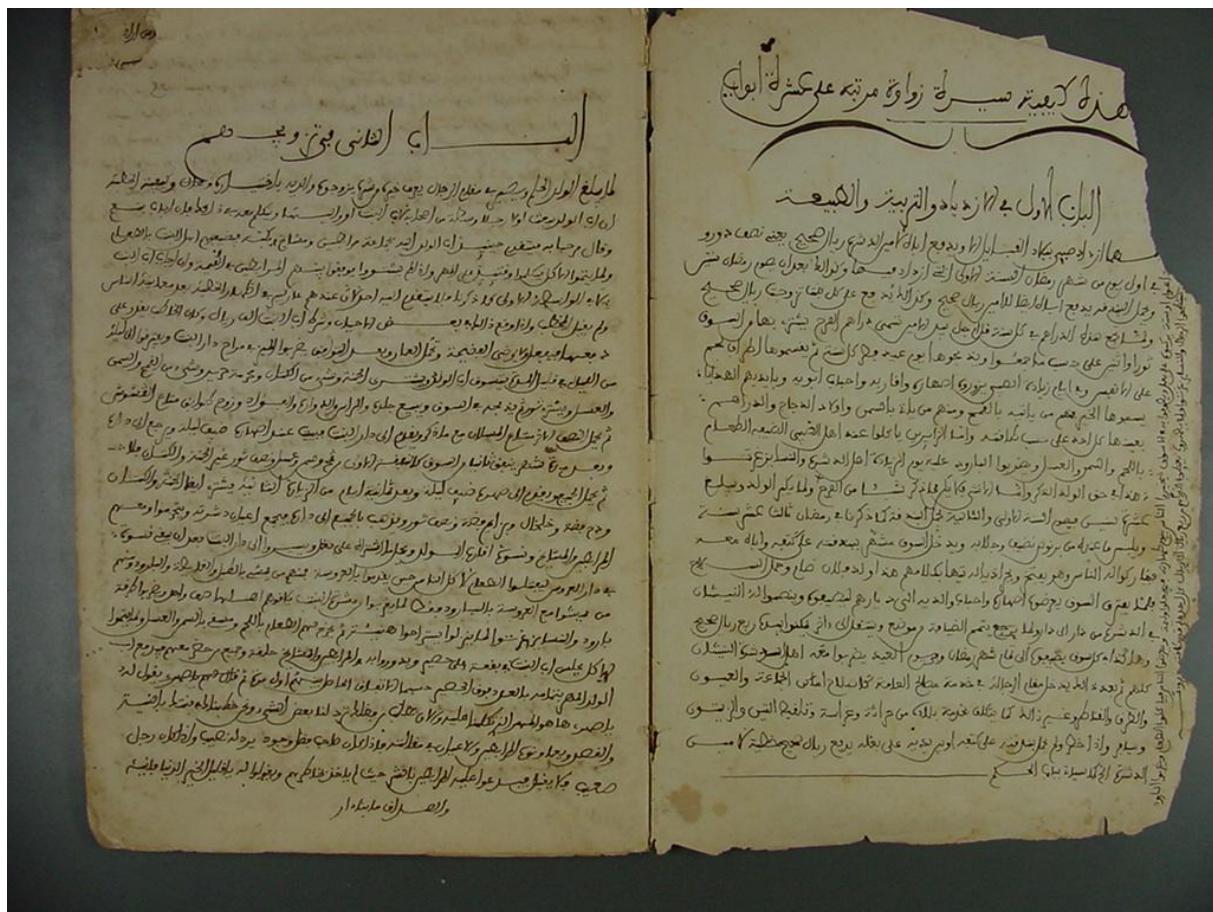
الملاحق

الملحق رقم (01): النظام الاجتماعي في بلاد زواوة.

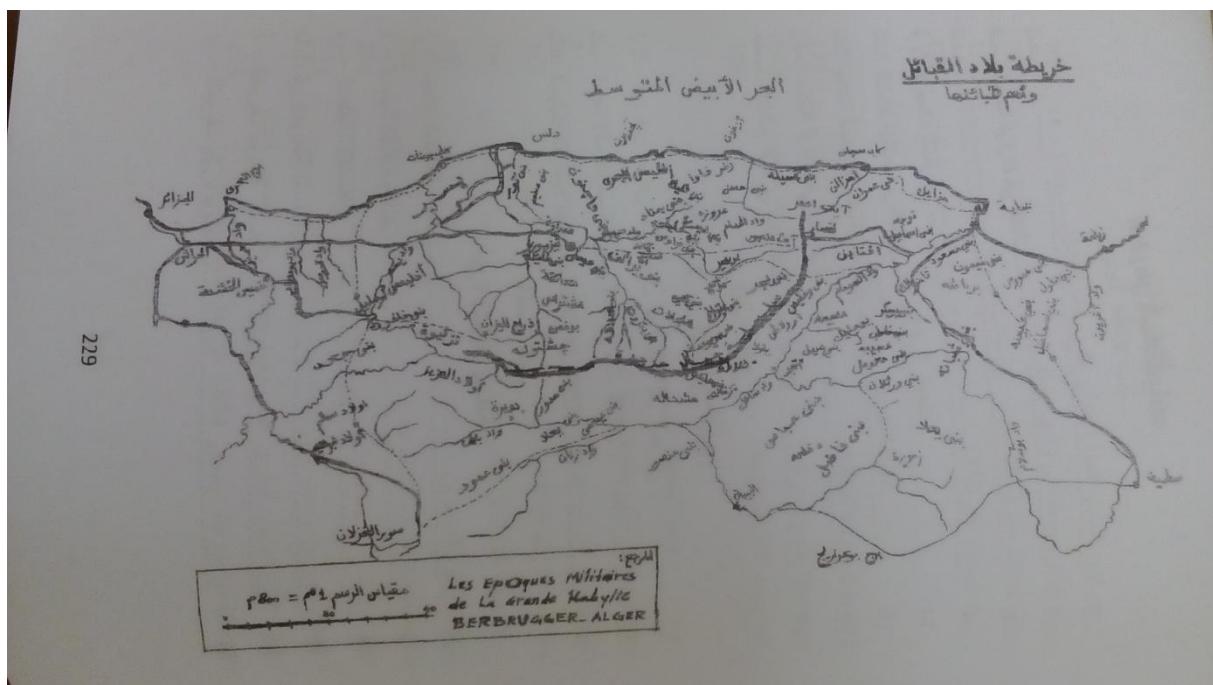


المصدر: مالية حمداني، المرجع السابق، ص 56.

الملحق رقم(02):نسخة من مخطوط كيفية سيرة زواوة صفحة 01.



الملحق رقم(03): خريطة بلاد زواوة.



المصدر: محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 214.

الملحق رقم(04): جدول تصنيف الأسواق حسب درجة جاذبيتها.

المقاطعة	الأسواق عالية الجاذبية	الأسواق متوسطة الجاذبية
بجاية	<ul style="list-style-type: none"> - الأحد أو أكلي بتوجة. - السبت أولاد تامزالت. - ثلاثة بقرية الثلاثاء شمال جبل جوة(Djoua) . - الأربعاء آث مسعود. 	<ul style="list-style-type: none"> - الخميس ثلا أوذرار بمزاللة. - السبت آث سليمان.
بودواو	<ul style="list-style-type: none"> - الجمعة آث أحمد. - الخميس آث عمر. - الأحد آث أومالك. 	<ul style="list-style-type: none"> - السبت مزاللة.
أزفون	<ul style="list-style-type: none"> - الأحد بعباش. - الجمعة آث عزوzi. - الاثنين آث جناد . 	
تاكسيت	<ul style="list-style-type: none"> - الثلاثاء آث وارقنو. - الأربعاء فليسية. 	<ul style="list-style-type: none"> - الأربعاء آث وارقنو.
دلس	<ul style="list-style-type: none"> - الأربعاء بواد الحمام. - سوق دلس (يعقد يوم الاثنين و الخميس). - سبت علي خوجة. 	<ul style="list-style-type: none"> - الأربعاء آث جولة.
فليسة مليل	<ul style="list-style-type: none"> - الأحد تمزرت (timezrit) 	<ul style="list-style-type: none"> - الخميس مكيرة.

	<ul style="list-style-type: none"> - الأحد مزاله. - الاثنين زعموم. 	
<ul style="list-style-type: none"> - الأربعاء آث خلفون. - الثلاثاء آث العزيز. 	<ul style="list-style-type: none"> - الجمعة نزلية. 	آث هني
<ul style="list-style-type: none"> - الاثنين مشراس. 	<ul style="list-style-type: none"> - السبت قشتولة. - الخميس معانقة. 	بورني
<ul style="list-style-type: none"> - سبت آث غوري. - الاثنين آث عيسى. - الأربعاء بنى دوالة. - الأحد آث بودرار. 	<ul style="list-style-type: none"> - الأحد آث بوشایب. - الجمعة صحاريج. - الأحد أدني (Adni). - الثلاثاء تيزى راشد. - الأربعاء شريطة. - السبت آث يحي. - الخميس إيلولا (إيلول) (أمالو). - الثلاثاء آث يبني. - الأربعاء آث واسيف. 	زواوة
	<ul style="list-style-type: none"> - الأربعاء آث وغليس. - الاثنين فنية. 	أكفادو
<ul style="list-style-type: none"> - الخميس آث مليكس. 	<ul style="list-style-type: none"> الاثنين إيلولا (إيلولا سامو) 	جنوب جرجرة
<ul style="list-style-type: none"> - الجمعة كولا أو ساطور. 	<ul style="list-style-type: none"> - الخميس آث عباس. - الأربعاء إغيل أعلى. 	البيان

	- الأربعاء تالفسا. - الاثنين بوجليل.	
- الخميس آث عيدل. - الأحد زمورة.	- الجمعة آث وريثان.	إلمان
- الثلاثاء آث جليل.	- الثلاثاء برياشة.	أمسين
- الخميس آث محمد. - الخميس جرمونة.	- السبت آث سليمان.	"kendiro "

Source:E.Carette, op.cit.

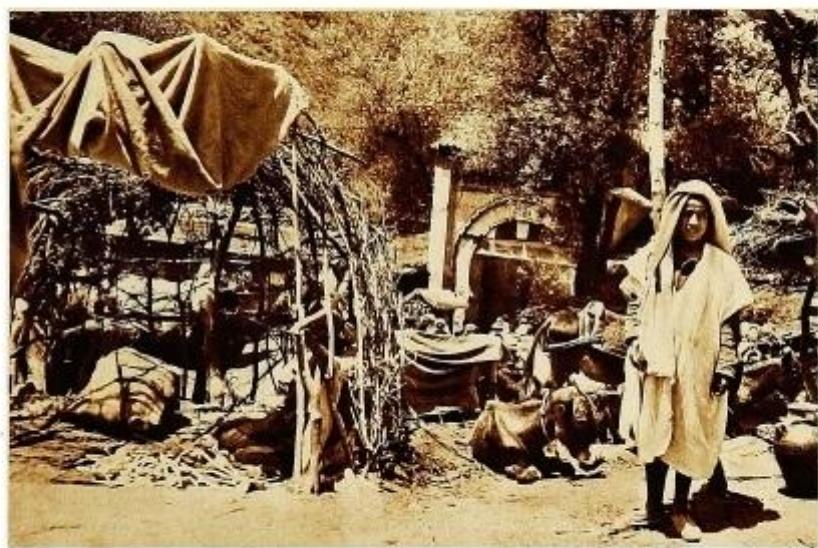
الملحق رقم(05): صورة سوق الاربعاء نات يراثن.



Le marché de Fort-National

Source:Martial Rémond, op.cit, p 54.

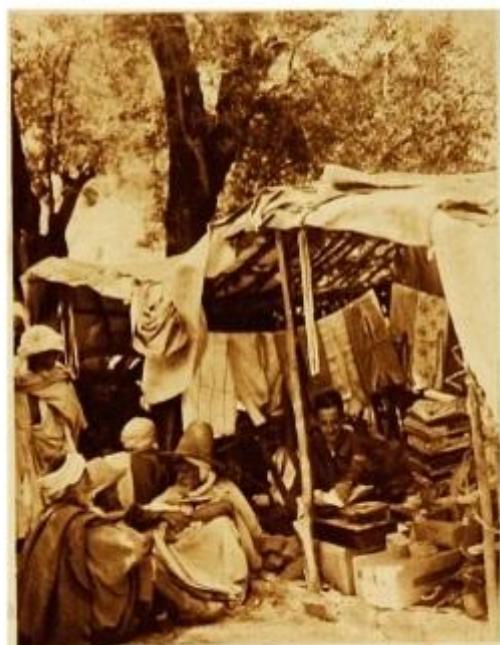
الملحق رقم(06): صورة سوق الجمعة بآث منقلات.



Au marché du Djemâa

Source: Martial Rémond, op.cit, p 117.

الملحق رقم(07): صورة لبائع متوجل.



Marchand forain

Source: Martial Rémond, op.cit, p 118.

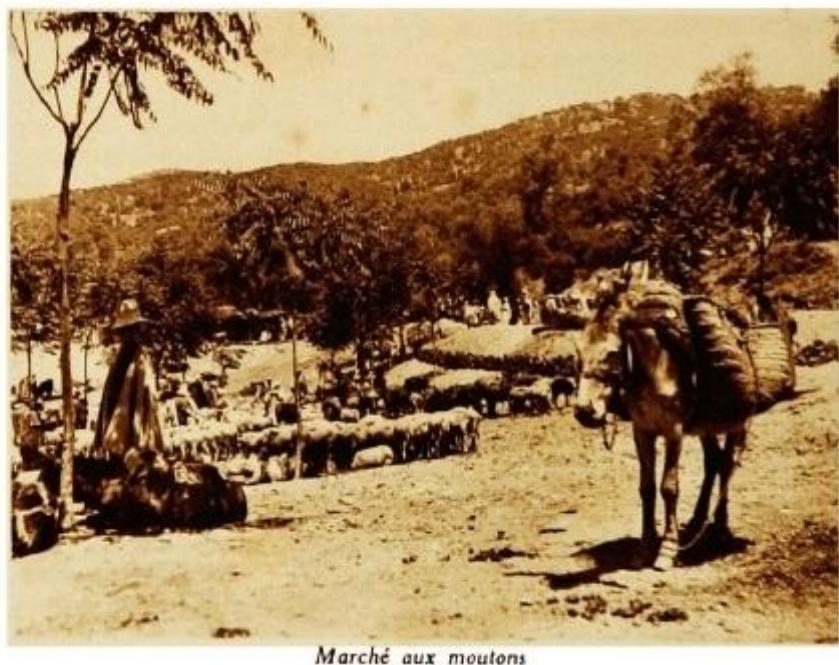
الملحق رقم(08): صورة لبائعي الفخار في سوق الجمعة.



Vendeurs de poteries

Source: Martial Rémond, op.cit, p 119.

الملحق رقم(09): صورة خاصة بسوق المواشي.



Source: Martial Rémond, op.cit, p 120.

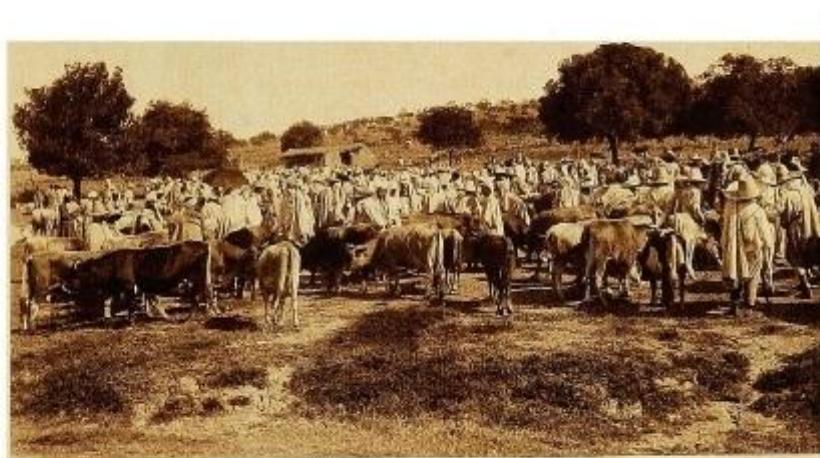
الملحق رقم(10): صورة للجزارين في سوق أث دوالة.



Les bouchers au marché des Aït Douala

Source: Martial Rémond, op.cit, p 141.

ملحق رقم(11): صورة سوق واضية.



Au marché des Ouadhia

Source: Martial Rémond, op.cit, p 153.

الملحق رقم(12): صورة لمسلح على الهواء الطلق بسوق واضية.



Abattoir en plein air

Source:Martial Rémond, op.cit, p 154.

الملحق رقم(13): صورة سوق تizi راشد ببوساحل على الضفة اليسرى لوادي سيباو.

Au marché de Tizi Rached



Source:Martial Rémond, op.cit, p 179.

البيبليوغرافية

قائمة المصادر والمراجع:

الأرشيف:

1- Monographie de l'arrondissement de Tizi-ouzou, octobre 1953. In C.A.O.M. 915-88.

- المخطوطات:

2- مؤلف مجهول، كيفية سيرة الزواوة، مخطوط تحت رقم 3012، المكتبة الوطنية، الجزائر.

الكتب المطبوعة:

أ - باللغة العربية:

3- ابن الأثير محمد الدين، النهاية في غريب الحديث و الأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي، ج 2، ط 1، المكتبة الإسلامية.

4- البكري أبي عبيد عبد الله، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، م 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

5- هابنسترايت. ج.أو، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م)، ترجمة وتقديم ناصر الدين سعیدونی، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت.

6- هانوتو.أ. ولوتونو.أ، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ترجمة مخلوف عبد الحميد، ج 1، دار الأمل، الجزائر

- 7 - الزواوي أبو يعلى، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- 8 - ابن حزم أبي محمد علي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982
- 9 - كريخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد دجي وآخرون، ج 2، دار المعارف الجديدة، 1988.
- 10 - بن محمد الورثلاني الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأثار، تقديم محمد بن شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1908.
- 11 - ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج 11، دار بيروت، لبنان، د.ت.
- 12 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقدير رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974.
- 13 - العسقلاني فضل، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 4، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1402هـ.
- 14 - بن عثمان خوجة حمدان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر (Anep)، الجزائر، 2005.
- 15 - شالر ولIAM، مذكرات ولIAM شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تعريب وتقدير وإسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982.

16- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبرير ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى بطبعه أبو صهيب الكرامي، ج6، بين الأفكار الدولية، الأردن، د.ت.ط.

ب - باللغة الفرنسية:

17- Carette.E, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842 « Études sur la Kabylie »,T1 et T2 , imprimerie nationale, Paris.

18- Daumas.E et Fabar.M, la grande Kabylie (étude historique), librairies de l'université royal de France, paris, 1847.

19- Daumas.E, Mœurs et coutumes de l'Algérie« tell. kabylie. sahra »,Ed L.Hachette, Paris,1853.

20- Devux.C, Les kabailes de Djerdjera," Etudes nouvelle sur les pays vulgairement appelès la Grande Kabylie", paris, 1859,

21- liore Jules, kabylie du jurjura, préface de Emile Masqueray,Ernest leroux éditeur, paris

22- Robin.N, note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie, in R.A.N 17, Alger, 1873.

23- Rozet.M et E.Carette, Algérie Etat Tripolitaine, 2^{ème} Ed, Bouslama, Tunis.

24- Rozet.M, Voyage dans la régence D'Alger, ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique,T2, Ed Arthus Bertrand, Paris, 1833.

25- Zurcher Magali, la pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870,tome xvi, édition les belles lettres, paris.

26-CHarvériat François, Huit jours en kabylie, a travers la kabylie et les questions kabyles, paris.

4 - المراجع:

أ - باللغة العربية:

27- آث ملويا لحسين بن شيخ ، القانون العرفي الأمازيغي، دار الخلدونية، الجزائر، .2006

28- بوزيت عبد الباهي، عرش آث وغليس" قبيلة أسطورية"، د.ط، د.ت،الجزائر، 2013

29- أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط4، دار السلام، مصر، د.ت.

30- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1995

31- جلاوي محمد، أشعار شعبية من قبائل جرجرة " قراءة نقدية في كتاب هانوتسو "، منشورات زرياب، الجزائر، 2001، ص 170

32- دويب عبد الرحمن، تاريخ المدن، الاعمال الكاملة للشيخ المهدى البوعبدلى، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013

- 33 - هونكه سيجريد، شمس الله تشرق على الغرب، ترجمة وتحقيق فؤاد حسين علي، ط2، دار العالم العربي، القاهرة، 2011.
- 34 - الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية، الجزائر، 1975.
- 35 - _____، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 - 1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- 36 - حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر "دراسة طبيعية وبشرية واقتصادية"، مطبعة الشركة الوطنية الجزائر، 1968.
- 37 - بن يوسف إبراهيم، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر، 1991.
- 38 - لقندلين شلواصر، قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، د.ت
- 39 - الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.ط.
- 40 - معتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية "أهمية مصادرها - وسائل تمتيتها"، عالم المعرفة، الكويت، 1996.
- 41 - ساحي أحمد، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر (عهد إمارة كوكو 1512 - 1767)، دار الأمل، تizi وزو، د.ت.
- 42 - سي يوسف محمد، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي "ثورة بوبغة"، دار الأمل، الجزائر، 2000.

- 43 —————، نظام التعليم في بلاد الرواية ببايالة الجزائر خلال العهد العثماني (الحياة الفكرية في الولايات العربية)، ج 1، 1990.
- 44 - سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، ط. خ. م، البصائر، الجزائر، 2013.
- 45 —————، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1729 - 1830)، ط 3، البصائر، الجزائر.
- 46 - سعدي مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموافق السكان منها (1871م، 1914م)، ج 1، دار سيدى الخير، الجزائر، د. ت. ط.
- 47 - سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط 3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982.
- 48 - العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر" الجزائر - تونس- المغرب الأقصى"، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
- 49 - الفيلالي محمد الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 1، دار الفن القرافيكي، الجزائر.
- 50 - فراد محمد أرزقي ، أزفون تاريخ وثقافة، ط 2، دار الأمل، 2006.
- 51 —————، إطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل، الجزائر، 2006.
- 52 - الصغير فرج محمد، تاريخ تizi وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954م، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر، 2002.

53- قاسيمي زين الدين، قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1720-1857)، دار الأمل، الجزائر، د.ت.

54- توفيق المدنی أحمد، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر.

55- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (15-19هـ) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل 1996.

ب - باللغة الفرنسية:

56- Bontems.C, Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance, éd Cuja, Paris, 1976.

57- Bouaziz.y, le monde Rurale Maghrébin communication et stratification du social, université d'Oran, la boratoire d'histoire et de cireilisation du Maghreb, T2, O.P.U, Oran, Novembre 1983.

58- Boulifa Saad- Eddine,Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830, Bringau, Alger.

59- Bourdieu Pierre, la domination masculine, Ed du seuil, Paris, 2002.

60- Boyer.P, l'évolution de l'Algérie médiane, Paris, 1960.

61- Edmond Doutté , "Note sur l'islam maghrabin", Marabouts, Ernest le vousx, Paris, 1900.

- 62- Mahé Alain, Histoire de la grande Kabylie XIX-XX Siècle anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, éd2, Edition Bouchene.
- 63- Malha Ben Brahim, Poésie populaire Kabyle et la résistance à la colonisation de 1830 à 1962, T1, Paris, 1982.
- 64- Martial Rémond, au cœur du pays kabyle, Ed baconnier –Hélio, Alger, 1933.
- 65- Roger Frydman, Marché Économie, Encyclopédia Universalis, paris, 1985.
- 66- Tillon Germaine, le heram et les cousins , Paris, 1982.

5 - أطروحتات والرسائل الجامعية:

أ - أطروحة الدكتوراه:

- 67- آيت سوكى محنـد أكـلي، إسـهامـات عـلـمـاء زـوـاـة فـي الـحـيـاة الـفـكـرـيـة الـإـسـلـامـيـة منـ القـرن الـعـاـشـر إـلـى الثـالـث عـشـر الـهـجـري/16-19م، أطـروـحة دـكـتوـراهـ، جـامـعـة الـجـازـئـ، 2014-2015.
- 68- بـوـجـمـعـة رـضـوانـ، أـشـكـال الـاتـصـال التـقـليـدي فـي مـنـطـقـة الـقبـائـلـ، أـطـروـحة دـكـتوـراهـ، قـسـمـ عـلـوم الـإـلـاعـمـ وـالـاتـصـالـ، جـامـعـة الـجـازـئـ، 2006 - 2007 .
- 69- جـابـ اللهـ طـيبـ، الدـورـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـتـرـبـويـ لـلـزـواـيـاـ فـيـ المـجـتمـعـ الـرـيفـيـ الـجـازـئـيـ، أـطـروـحة دـكـتوـراهـ، قـسـمـ عـلـمـ الـاجـتمـاعـ، جـامـعـة الـجـازـئـ2ـ، 2013 - 2014، صـ 73ـ.

70 - كرkar جمال ، العرف والعمال الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام في منطقة زواوة خلال فترة الاحتلال نموذجا ، أطروحة دكتوراه ، قسم العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر، 2007.

71 - نوح عبد الله، المؤسسات العرفية بمنطقة القبائل ووادي ميزاب ومساهمتها في المرافق العامة، مقاربة أنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008-2009.

72 - فراد محمد أرزقي، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011.

73 - شويتام أرزقي ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519 - 1830)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005 - 2006 .

ب - رسائل الماجستير:

74 - بولجيست كيسة، العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين 17م-19م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2010.

75 - بومولة نبيل، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن 10هـ / 16م "بني عباس نموذجا"، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009 - 2010.

76 - حمداني مالية، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف وال الحاجة المادية "دراسة ميدانية في مدينة ذراع بن خدة وقرية ترمتين"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010.

77 - طيلب نسيمة، "الابعاد الأسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر" ، دراسة سيميولوجية لعينة من الطقوس الاحتفالية في "بني معوش" بجایة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر3، 2010 - 2011 .

78 - سي فوضيل مني، الزوايا بين الماضي والحاضر "دراسة سوسيولوجية مونوغرافية لزاوية الشرفاء سيدى بلهول وزاوية سيدى عبد الرحمن اليلولي بمنطقة القبائل"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005.

6- الموسوعات والقواميس والمجلات:

أ- الموسوعات والقواميس:

79- جمعة محمد علي، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار السلام والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1981.

80- بن هادية علي، القاموس الجديد، تقديم محمود المسعودي، ط1، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979.

81- علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة.

82- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

ب- المجالات:

83 - آيت مولود ناصر، <> السوق الأسبوعي التقليدي في منطقة القبائل<>، دراسات اجتماعية، العدد 01، أبريل، 2009.

84 - البوغبدلي المهدى، الرباط و الفداء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة، عدد 13، 1973.

85 - المشهداي مؤيد محمود حمد، «أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)»، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، العدد 16، أبريل، 2013.

الفهارس

- الملحق رقم(01): النظام الاجتماعي في بلاد زواوة.....ص102.
- الملحق رقم(02): نسخة من مخطوط كيفية سيرة زواوة.....ص103.
- الملحق رقم(03): خريطة بلاد زواوة.....ص104.
- الملحق رقم(04): جدول تصنيف الأسواق حسب درجة جاذبيتها.....ص105.
- الملحق رقم(05): صورة سوق الأربعاء ناث يراثن.....ص108.
- الملحق رقم(06): صورة سوق الجمعة آث منقلات.....ص109.
- الملحق رقم(07): صورة لبائع متوجول.....ص110.
- الملحق رقم(08): صورة لبائع الفخار في سوق الجمعة.....ص111.
- الملحق رقم(09): صورة خاصة بسوق المواشي.....ص112.
- الملحق رقم(10): صورة للجزارين في سوق آث دوالة.....ص113.
- الملحق رقم(11): صورة سوق واضية.....ص114.
- الملحق رقم(12): صورة لمسلح على الهواء الطلق بسوق واضية.....ص115.
- الملحق رقم(13): صورة سوق تizi راشد ببوساهل على الضفة اليسرى لوادي سيباو.....ص116.

ابن خلدون 12 ، 13 أحمد بوشافع 24 أحمد توفيق المدنى 14 أعمى أودة 93 لأن ماهي 25،24 محمد ناث قاسي .93. أبو يعلى الزواوى 8.	أ
بربير بن قيس بن عيليان بن حام 13 بن علي نايت قاسي 31 بوبغة .94.	ب
تمزريت 22	ت
جذام .13 جولي ليورال 56	ج
الحاج إسماعيل .93 حمدان خوجة . 50,63	ح
دوفو .82 دوماس .81,28	د
ريموند مارتييل .35	ر
زواو بن سمحان بن يحيى بن تمزيت بن ضريس 13	ز
سي محنـد أوـمـحنـد .78	س
شـلوـصـر .55 الشـيـخـ الحـدـاد .95 الشـيـخـ المـقـرـانـي .77,95	ش
علي خوجة	ع

ف	فرانسوا شوبيري
ك	كاريت 26، 23، 64.
ل	كعنان بن حام بن نوح 13 . لحسين بن شيخ 13. لخم 13. لينش 41.
م	محمد السعيد أبويعطى الزواوي 14. محمد الصغير فرج 27. محمد أمزيان بن الحداد 95.
ه	هانوتو 26، 34، 41، 43، 92، 83، 63.
و	الورثاني 17. وليام شالر 14.
ي	يوسف أوقاسي 30، 78..

أزو نتاراف 10. أزفون 52. أكفادو 25، 9، 10.	أ
بجاية 8 بغلية 27 البويرة 94. بوغنى 53.	ب
تدلس 12، 13 تونس 82. تizi وز 25، 53، 27	ت
جبال البابور 8. جبال البيبان 8. الجبل الأخضر 10. جرجرة 25 الجزائر 12، 31	ج
دلس 58	د
ذراع بن خدة 27	ذ
سطيف 58، 8.	س
صدوق 95. صنهاجة 13، 12. صور الغزلان 9.	ص

ع	عين الحمام .76	
ق	قمة إزروفون 9 . قمة تامغوت 10.	
	قمة حيزر 9 . قمة قيرينيو 9.	
	قمة لالة خديجة 9. قسنطينة	
	القسطنطينية 82 قالمة	
ك	كتامة 12	
م	ممربني عيشة 10.	
ه	هضبة ذراع القايد 59.	
و	واد بوق دورة 11 . واد عيسى 11. وادي أغربون 8. وادي أورانيم 58. وادي جمعة 10. واد الصومام 9,10 واد سيباو 11.	
ي	يسر 8,50,58	

القبائل:

إتوجان إمارة كوكو. أيلولة آث أقبييل آث بترون آث بحر آث بودرار 27. آث بلقاسم 14. آث بوشعيب (بوشعایب) 75,34,13,87. آث تور 67 آث ثامزالت 51. آث جليل 56,54. آث جناد 75,67,63,57,52,51,50,30,10 آث خليلي 54. آث دوالة 70. آث سعيد 50,49 آث شيوق 57 آث صدقة 13. آث عباس 25,54,67,68 آث عزو ز 49,67 آث عمور أو قرتز 23. آث عمور 23. آث عيسى 13. آث غبرين (غبری) 13. آث غردان 13. آث فراوسن 67,55,54,51,50,43,34,13,87	أ
--	---

آث فرح .70,44 آث مالك .49 آث ماني .13 آث مقران .14 آث محى الدين .52 آث منقلات (منكلات) .34,25,13 آث واسيف .56 آث واقون .57,56,52,50,67 آث وغليس .58 آث ورثيلان 58 آث يتورع .13 آث يحي .34 آث يراشن 70,67,54,52,34,22,13,87,94 آث يعلى .58 آث يني 56,55,54,34,29,27,64 آث يوسف .13 إزرفونن (زرفاؤة) .52,51,50,49,25 أقوني نتسلن 46 إمزالن (مزالة) .23,58,56,25 إيجيتسان .55	
تامدة 30 توجة 41 تور .	ت
ثاوريث عمران 45	ش

	ثاوريث نتيدس .44	
	ثوريث عبد الله .45	
	رقان 56	ر
	شريطة 22.	ش
	شرفه إغيل فيكان .43	
	الصهاريج (الصهاريج) 22	ص
	عمراوة 27,30,31,52.	ع
	فليسة مليل 22	ف
	قرية كوكو	ق
	. معاقة 49,50,52,55.	م
	مزياته.	
	واضية 93	و

ملاحظة: اعتمدنا على تسمية "آث" في ذكر أسماء القبائل الزواوية لأنها التسمية المشاعة في المنطقة، ويمكن ايجادها أحياناً في المتن باسم "بنو".

	المختصرات.....
أ- هـ	مقدمة.....
18-8	الفصل التمهيدي: لمحه عامة عن منطقة زواوة.....
8	المبحث الأول: الخصائص الجغرافية والبشرية.....
14	المبحث الثاني: الخصائص الاجتماعية والاقتصادية.....
47-20	الفصل الأول: إنشاء الأسواق الأسبوعية وتنظيمها في بلاد زواوة....
21	المبحث الأول: إنشاء السوق.....
31	المبحث الثاني: تنظيم السوق.....
72-49	الفصل الثاني: الدور الاقتصادي للأسواق.....
49	المبحث الأول: الأنشطة الاقتصادية.....
61	المبحث الثاني: الضبط الاقتصادي.....
95-74	الفصل الثالث: الدور الاجتماعي للأسواق.....
74	المبحث الأول: الفضاءات الاجتماعية للسوق.....
85	المبحث الثاني: الأبعاد الأنثروبولوجية للسوق.....
100-97	خاتمة.....
116-102	الملاحق.....
127-118	الببليوغرافيا.....
129	فهرس الملاحق.....
131-130	فهرس الأعلام.....
133-132	فهرس الأماكن.....
136-134	فهرس القبائل والقرى.....
137	فهرس الموضوعات.....